دراسات دينية مترجمة من الإنجليزية

حول القرآن الكريم والكتاب المقدس وبعض الأديان القديمة وخطط التبشير بين المسلمين

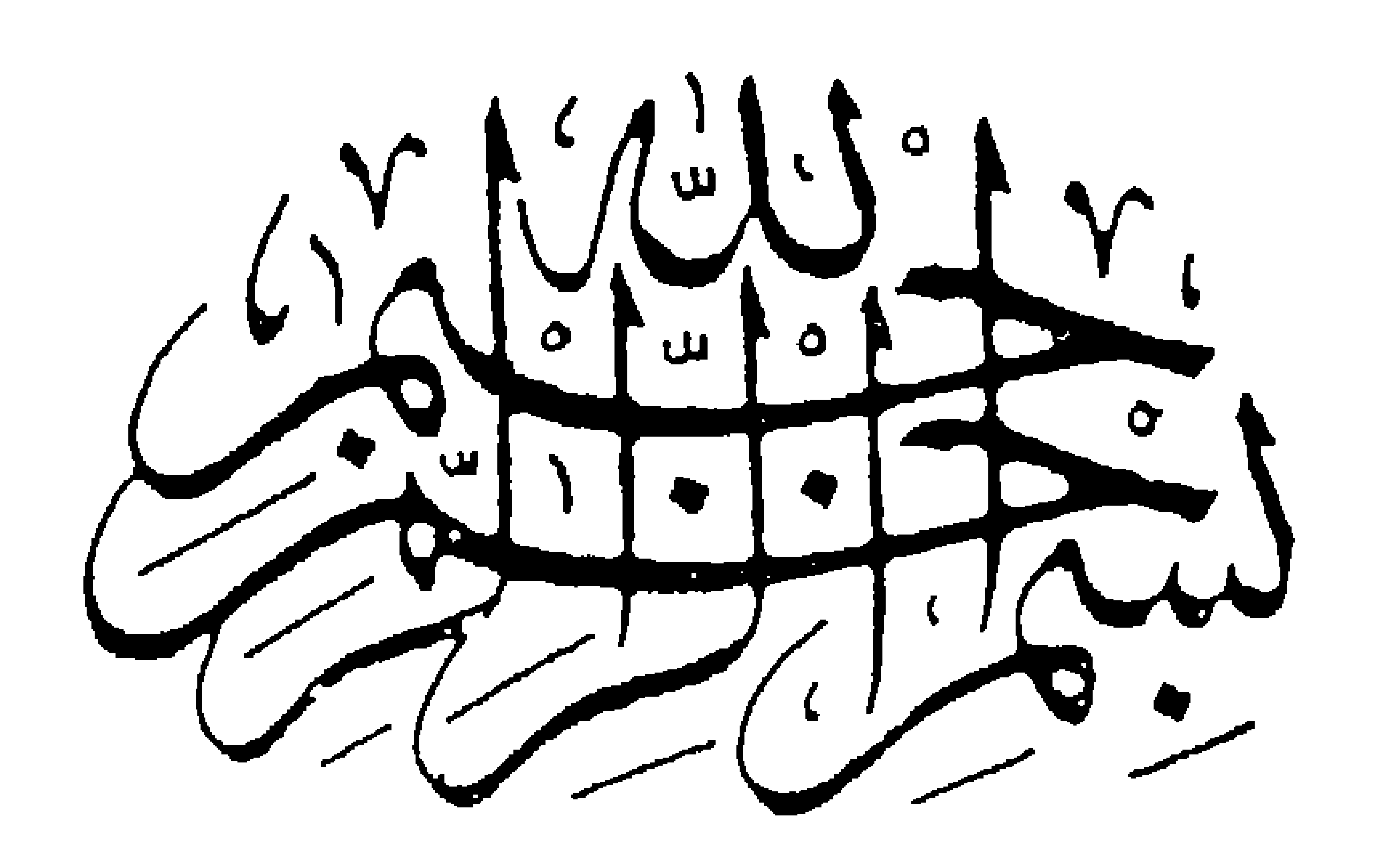
(مع تعليقات كثيرة)

د. إبراهيم عوض

١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م
مكتبة زهراء الشرق
١١٦ محمد فريد - القاهرة

دراسات دينية

ترجمة من الإنجليزية


بسم الله الرحمن الرحيم

دراسات دينية مترجمة من الإنجليزية

حول القرآن الكريم والكتاب المقدس وبعض الأديان القديمة وخطط التبشير بين المسلمين

د. إبراهيم عوض

١٤٢٠ هـ ـ ٢٠٠٠م
مكتبة زهراء الشرق
١١٦ محمد فريد ـ القاهرة

إلى علاء الدين فى عيد ميلاده العشرين

رقم الايداع ٩٩/١٢٧٦٩
الترقيم الدولي .I.S.B.N
977-314-038-5.

المقدمة

هذه فصول خمسة مترجمة من خمسة كتب مختلفة ، ترجمتُها عن الإنجليزية ما عدا الفصل الثالث ، الذى ترجمته عن الفرنسية ، لكن لـمّا كانت الترجمة الإنجليزية لهذا الفصل (وللكتاب كله الذى اخترته منه) مطابقة للأصل الفرنسى ، فمن الممكن كذلك عدّه مترجَما عن الإنجليزية . وهذه الفصول هى عبارة عن دراسات لبعض الكتب المقدسة والقرآن الكريم وبحث عن الخطط المثلى للتبشير بين المسلمين أحببت أن أضعها بين يَدَى القارئ العربى ومعها النصّ الإنجليزى لينتفع بها من يريد أن ينتفع ، سواء من ناحية الترجمة أو من ناحية الإلمام بمنهج الدارسين الغربيين فى نظرتهم للكتب الدينية وطريقة تحليلهم لها أو من الناحيتين معا .

والكتب التى اخترت منها هذه الفصول الخمسة هى على ترتيب ورودها فى هذا الكتاب :

* Philosophical Dictionary, by Voltaire, " Genesis".
* The Childhood of Religions, by Edward Clodd, London, 1975, p.10 seqq.
* Arabic Literature, by C. Huart, London, 1905, p. 34 seqq.

* Changes in the Character of the Missionary Problem in Mohammedan Lands, by the Rev. W. H. T. Gairdner, Cairo (Address delivered in the Assembly Hall on Saturday Evening , 18th June 1910) .
* Miracles of the Gods, A Hard Look at the Supernatural, by Erich Von Daniken, translated from the German by Michael Heron, London , 1977, p. 51 seqq.

وكل رجائى ألا تكون أخطاء الترجمة كثيرة وأن يتقبل الله بفضله وواسع كرمه هذا الجهد القليل ويرضى عنى .

« تحليل سفر التكوين » لڤولتير

تحليل سفر التكوين

لن أسبق هنا الحوادث وأذكر ما قلته عن موسى فى المادة المخصصة له (فى هذا القاموس) ، بل سأتناول بعض الملامح الرئيسية لسِفْر « التكوين » واحدا بعد الآخر .

« فى البدء خلق الله السموات والأرض »[1] : هكذا تُرْجِمَت العبارة ، بيد أنها ترجمة غير دقيقة ، إذ ما من إنسان له دراية بالقراءة يجهل أن النص يجرى على النحو التالى : « فى البدء صَنعت الآلهةُ أو الإلهُ السمواتِ والأرض » . وفضلا عن هذا ، فإن هذه القراءة تتمشى مع الفكرة القديمة عند الفينيقيين ، الذين كانوا يعتقدون أن الله يستخدم آلهة صغرى لتنظيم فوضى الهيّولَى . لقد كان الفينيقيون أمة ذات سلطان لها فكرها الخاص بها فى البحث عن أصل الالهة (theogony) ، وذلك قبل أن يحتل العبرانيون بعض القرى القريبة من بلادهم . ومن ثم فمن الطبيعى تماما أن نفترض أن العبرانيين قد شرعوا يتعلمون اللغة عندما أصبح لهم أخيرا مستوطنة صغيرة على مقربة من فينيقيا ، وبالذات عندما كانوا عبيدا هناك ، ثم اقتبس من كان يستطيع الكتابة منهم شيئا من علم اللاهوت القديم الذى كان لأسيادهم . فهكذا يتقدم

(١) سفر التكوين :١/١ .

العقل البشرى .

وفى الوقت الذى يقال إن موسى عاش فيه فإن من المحتمل أن الفلاسفة الفينيقيين كانوا يعرفون ما يكفى للنظر إلى الأرض بوصفها نقطة بالنسبة إلى هذا العدد اللانهائى من الأجرام التى وضعها الله فى هذا الفضاء المترامى المسمى بالسماء . لكن الفكرة القائلة بأن السموات إنما صُنعت من أجل الأرض ، وهى فكرة شديدة القدم بينة الفساد ، كانت منتشرة على الدوام تقريبا بين الجهلة . إنها تشبه القول بأن الله قد خلق الجبال جميعا وحبّة واحدة من الرمل وافتراض أن تلك الجبال قد خُلقت من أجل حبة الرمل هذه . إن من غير الممكن ألا يكون لدى الفينيقيين ، هؤلاء الملاحين المهرة ، فلكيون بارعون . بيد أن الأوهام القديمة كانت لها السيادة ، وهذه الأوهام القديمة كان على كاتب « سفر التكوين » أن يراعيها ، ذلك الكاتب الذى قصد أن يعلم الناس الخطط الإلهية وليس العلم .

« وكانت الأرض خربة (tohu-bohu) وخالية ، وعلى وجه الغَمْر ظلمة ، وروح الله يرف على وجه المياه » (٢) .

إن المعنى الدقيق لكلمة « tohu-bohu » هو الفوضى

---

(٢) تكوين : ٢/١ .

والاضطراب . إنها واحد من تلك الألفاظ التى تدل بجرسها على معناها والموجودة فى جميع اللغات ، مثل dessus dessous, tin-tamarre, trictrac [٣].

ولم تكن الأرض قد شُكِّلَت على النحو الذى هى عليه الآن. لقد كانت المادة موجودة ، لكن القدرة الإلهية لم تكن قد شكّلتها بعد . أما « روح الله » فمعناها النَّفَس أو الريح التى حركت المياه . وهذه الفكرة موجودة فى القطع المتبقية من كتابات المؤلف الفينيقى سانشونياتن (Sanchuniaton) . لقد كان الفينيقيون، مثلَهم فى ذلك مَثَلُ الأمم القديمة جميعا ، يؤمنون بخلود المادة ، ولم يقل أى مؤلف فى التاريخ القديم إن شيئا قد خرج من لاشىء ، بل لا يوجد فى الكتاب المقدس من أوله إلى آخره نص واحد يقول إن المادة قد خُلِقَتْ من العدم .

لقد كان الناس دائما مختلفين حول المسألة الخاصة بخلود العالم ، لكنهم لم يختلفوا قط حول خلود المادة . وقد قال پرسيوس (Persius) [٤] : «لا شىء يأتى من لاشىء أو يتحول إلى لاشىء» ، وهكذا كان رأى القدماء جميعا .

(٣) ومعناها فى الفرنسية : رأسا على عقب ، ضجة ، النرد (المترجم) .
(٤) كاتب رومانى ساخر ٣٤ ـ ٦٢م (المترجم) .

« وقال الله : ليكن نور ، فكان نور . ورأى الله أنه حَسَن . وفصل الله بين النور والظلمة ، ودعا الله النور نهارا ، والظلمة دعاها ليلا . وكان مساءٌ وكان صباحٌ يوما واحدا . وقال الله : ليكن جَلَدٌ فى وسط المياه ، وليكن فاصلا بين مياه ومياه . فعَمِلَ الله الجَلَد ، وفصل بين المياه التى تحت الجَلَد والمياه التي فوق الجَلَد. وكان كذلك ، ودعا الله الجلد سماء . وكان مساءٌ وكان صباحٌ يوما ثانيا ... ورأى الله أنه حسن »[٥] .

فلنبدأ بالبحث فيما إذا لم يكن هُويه[٦] (أسقفُ أڤارانش) وليكليرك[٧] على حق لا شك فيه ، وليس أولئك الذين كانوا يرَوْن أن هذا الكلام هو قطعة من البلاغة الجليلة .

إن مثل هذه البلاغة لا نجدها فى أى كتاب تاريخى من تأليف اليهود . إن الأسلوب هنا قد بلغ الغاية فى البساطة مثلما هو الحال فى سائر العمل . ولو أن أحد الخطباء ، فى تعبيره عن قدرة الله، استعمل عبارة : « وقال الله : ليكن نور ، فكان نور » لكان

(٥) تكوين : ١/٣ ـ ٨ ، ١٢ .

(٦) هو پيير دانييل هُويه ، الذى تحول إلى الرومانية الكاثولكية رغم أنه كان عالما متضلعا ، ومات فى ١٧٢١م عن ٩١ عاما .

(٧) چان ليكليرك (١٦٥٧م ـ ١٧٣٦م) كان أرمنيا من چنيف . وهو واحد من رجال اللاهوت القلائل الذين استطاعوا قراءة الكتاب المقدس بعيون مفتوحة .

ذلك هو الأسلوب الجليل . وعلى هذا المنوال جاءت العبارة التالية فى أحد المزامير : « لأنه قال فكان »(٨) . هذه ومضة تَشْدَه العقل وتكتسحه اكتساحا ، وذلك لتفردها فى هذا السياق ولكونها وُضِعَتْ هناك لخلق صورة أدبية عظيمة ، أما هنا فأسلوب السرد هو أبسط أسلوب ممكن . إن المؤلف اليهودى يتحدث عن النور بنفس الطريقة التى يتحدث بها عن المخلوقات الأخرى ، فهو يقول معقبا فى كل مرة : « ورأى الله ذلك أنه حسن » . ولا ريب أن كل شىء مخلوق هو شىء جليل ، لكن خلق النور ليس أكثر جلالا من خلق عشب الحقول . إن الجليل هو ما يعلو على غيره، لكن السِّفْر كله قد صيغ بنفس الأسلوب .

ومن الآراء القديمة جدا أيضا أن النور لا يصدر عن الشمس، إذ يُرَى منتشرا فى الفضاء قبل شروق الشمس وبعد الغروب ، وكان الاعتقاد أن وظيفة الشمس منحصرة فى دفعه دفعا قويا . وفى الواقع فإن مؤلف سفر « التكوين » قد وقع فى هذا الخطإ الشائع فعكس ترتيب الأشياء عكسا غريبا بحيث لم تُخْلَق الشمس والقمر فى رأيه إلا بعد النور بأربعة أيام . إن من المستحيل أن نتصور كيف يمكن أن يكون هناك صباح ومساء قبل أن تكون هناك

(٨) مزامير : ٩/٣٣ .

شمس . إن المؤلف الملهم قد تابع ما كانت أمته تعتنقه من أوهام غامضة جافية . والله لم يهدف إلى تعليم اليهود الفلسفة ، ولقد كان قادرا على أن يرتفع بهم إلى سماء الحقيقة ، إلا أنه آثر أن ينزل إلى مستواهم .

كذلك فإن فصل النور عن الظلمة فكرة غير علمية . ويبدو أن الليل والنهار كانا مختلطين معا مثل نوعين مختلفين من الحبوب ثم فُصِل أحدهما عن الآخر . إن من المعروف أن الظلمة ليست إلا انعدام النور ، وأنه لا يمكن أن يكون ثمة نور إلا إذا وقع على العين ذلك الانطباع ، لكن اليهود فى ذلك الوقت كانوا أبعد ما يكونون عن معرفة هذه الحقائق .

ثم إن فكرة الجَلَد هى فكرة قديمة . لقد كان الناس قديما يتخيلون أن السماوات صلبة شديدة الصلابة لأنهم كانوا يرون فيها دائما نفس الظواهر . إن السموات تدور فوق رؤوسنا ، ومن ثم فإنها مخلوقة من مادة صلبة جدا . ثم كيف يمكن إحصاء كمية الماء التى تزوِّد بها الأرضُ والبحارُ السحاب ؟ لم يكن هناك أحد مثل هالّى[٩] ليقوم بهذا الإحصاء ، وإذن فهناك خزانات مياه فى السماء . وهذه الخزانات لا يمكن أن تحملها إلا قبة قوية ، وهذه

٩) إدموند هالّى (١٦٥٦م - ١٧٤٢م) هو العالم الفلكى المشهور بالمذنَّب الذى اكتشفه والذى سمِّى باسمه : « مذنب هالّى » (المترجم) .

القبة يمكن الرؤية من خلالها ، فهى إذن من البلور . ولكى يمكن أن تنزل المياه التى فَوْقَ على الأرض من خلال هذه القبة كان لا بد أن يكون لها أبواب وأقفال ومساقط مياه تُفْتَح وتُغْلَق . وهكذا كان علم الفلك عند اليهود ، ومادام الكاتب كان يكتب لليهود فقد كان لا بد أن يردد أفكارهم المتخلفة المستعارة من أمم أخرى أقل منهم تخلفا .

« فعمل الله نورين عظيمين : نورا لحكم النهار ، والآخر لحكم الليل . وعمل كذلك النجوم » (١٠) .

نفس الجهل بالطبيعة هنا أيضا . لقد كان اليهود يجهلون أن القمر لا يصدر عنه إلا ضوء منعكس . ثم إن المؤلف هنا يتحدث عن النجوم كأنها شىء تافه لا يؤبه له برغم أنها فى الحقيقة عدد كبير جدا من الشموس يدور حول كل واحدة منها عدد من العوالم . لقد كيَّف روح القدس نفسه مع عقلية ذلك الزمان .

« وقال الله : نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا ، فيتسلطون على سمك البحر ... » (١١) .

ترى ما الذى فهمه اليهود من عبارة : « نعمل الإنسان على

(١٠) تكوين : ١٦/١ .

(١١) تكوين : ٢٦/١ .

صورتنا كشبهنا » ؟ إنه هو ما فهمه القدماء جميعا من أنه «مَصُوغ عىي صورة السَادة الأرباب »[١٢] . إن الصور لا تكون إلا للأجسام، وما من أمة استطاعت أن تتصور إلها بلا جسم ، ومن المستحيل تصوره خلاف ذلك . إننا بطبيعة الحال نستطيع أن نقول : « إن الله يختلف عن كل شيء نعرفه » ، لكننا مع هذا لا نستطيع أن نتصور ما هو . ومِثْلَ الأمم الأخرى جميعا كان اليهود يعتقدون دائما فى جسدانية الله . كذلك فإن كل آباء الكنيسة الأوائل كانوا يعتقدون فى جسدانيته ، وظلوا على هذا الحال إلى أن اعتنقوا أفكار أفلاطون .

« ذكرا وأنثى خلقهم »[١٣] .

إذا كان الله أو الآلهة الثانويون قد خلقوا الإنسان ذكرا وأنثى على صورتهم فإنه يبدو ، والحالة هذه ، أن اليهود كانوا يعتقدون أن الله والآلهة الأخرى هم أيضا ذكور وإناث . أيًا ما يكن الأمر ، فلسنا نعرف أيقصد المؤلف أن الإنسان فى أول الأمر كان يحتوى على الجنسين كليهما أم إنه يرى أن الله قد خلق آدم وحواء فى نفس اليوم . إن المعنى الطبيعى تماما هو أن الله قد صنع آدم وحواء

---

١٢) أوفيد : التحولات ١/٨٣ .

١٣) تكوين : ١/٢٧ .

فى نفس الوقت ، بيد أن هذا المعنى يتناقض تمام التناقض مع فكرة خلق حواء من ضلع آدم بعد الأيام السبعة بزمن طويل .

« فاستراح فى اليوم السابع »(١٤) .

لقد كان الفينيقيون والكلدانيون والهنود يقولون إن الله قد خلق العالم فى ستة أدوار ، وهى ما كان زرادشت يسميها بـ« الجَهَمْبارات » الستة المشهورة جدا لدى الفرس .

ولا جدال فى أن هذه الشعوب جميعها كان لها عِلْمُ لاهوتٍ قبل أن يسكن القطيع اليهودى صحراء حوريب وسيناء ، وقبل أن يكون عنده كتاب . وعلى هذا فمن المحتمل جدا أن تكون قصة الأيام الستة مأخوذة من قصة الأدوار الستة .

« وكان نهر يخرج من عَدْن ليسقى الجنة . ومن هناك ينقسم فيصير أربعة رؤوس : اسم الواحد فيشون ، وهو المحيط بجميع أرض الحويلة حيث الذهب ... ، واسم النهر الثانى جيحون ، وهو المحيط بجميع أرض كوش(١٥) ، واسم النهر الثالث

---

(١٤) تكوين : ٢/٢ .

(١٥) أى بلاد الحبشة . انظر الأصل الإنجليزى لهذه العبارة فى القسم الثانى من كتابنا هذا (المترجم) .

حدّاقل[١٦] ، والنهر الرابع الفرات »[١٧] .

وطبقا لهذه الرواية فإن الجنة الأرضية كانت تضم تقريبا ثلث آسيا وأفريقيا . كما أن منبعَىْ دجلة والفرات يبتعد أحدهما عن الآخر بأكثر من ستين فرسخا كبيرا[١٨] بين جبال فظيعة لا يمكن أن تشبه الجنة بحال . وينبع النهر الذى يتاخم أثيوبيا ، والذى لا يمكن أن يكون النيلَ أو النيجر ، على بعد سبعمائة فرسخ من منبعَىْ دجلة والفرات . وإذا كان فيشون هو فاش فإن من الغرابة بمكان أن نضع منبع نهرِ أسقوثىٌ[١٩] فى نفس المكان الذى ينبع فيه أحد الأنهار الأفريقية . ومن هنا كان لا بد من البحث عن تعليل آخر وعن أنهار أخرى ، وقد تصور كلُّ مُفَسِّرٍ الجنةَ الأرضية على طريقته .

وعلى أية حال فإن جنة عَدْن مقتبسة بالتأكيد من جنة عدن

(١٦) وهو نهر دجلة كما ورد فى النص الانجليزى الذى ترجمنا عنه (المترجم) .

(١٧) تكوين : ٢/١٠ ـ ١٤ مع شىء من الاختصار والتصرف .

(١٨) وهو ما لا يقل عن ٢٠٠ ميل .

(١٩) نسبة إلى قبيلة بدوية كانت تعيث فى الأرض فسادا فى شمال آسيا وشمال شرق أوربا فى الأزمنة القديمة . أما فاش فهو اسم النهر بالتركية، وهو نهر ينبع فى جبال القوقاز ويصب فى البحر الأسود ، وطوله ٣١٤ كم (المترجم) .

الموجودة عند صنعاء فى بلاد اليمن والمشهورة فى الزمن القديم . وقد كان العبرانيون ، وهم أمة مُحْدَثة جدا ، قبيلة عربية ، وكانوا يفتخرون بكل ما هو رقيق فى أحسن إقليم فى جزيرة العرب . وقد طوعوا لأغراضهم الخاصة تراث الأمم العظيمة التى يعيشون بين ظَهْرَانَيْها متقوقعين .

« وأخذ الربُّ الإلهُ آدمَ ووضعه فى جنة عدن يعملها ويحفظها »(٢٠) .

إنه لشىء حسن أن يزرع الإنسان حديقته ، لكنْ لا بد أن آدم قد وجد أن زراعة حديقة طولها سبعمائة أو ثمانمائة فرسخ هى مسألة صعبة ، ولا شك أنه قد زُوِّد ببعض من يعاونونه .

« أما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها »(٢١) .

إن من الصعب تصور وجود شجرة لتعليم الخير والشر مثلما هناك أشجار كمثرى وأشجار مشمش . ثم لماذا لم يكن الله يريد أن يعرف الإنسان الخير والشر ؟ ألم يكن العكس هو الأجدر بالله والأنفع للإنسان ؟ إن عقلى الضعيف العاجز يرى أنه كان ينبغى أن يأمر الله الإنسان بأن يأكل قدرا كبيرا من هذه الثمرة . لكن ماذا

---

(٢٠) تكوين : ١٥/٢ .

(٢١) تكوين : ١٧/٢ .

يمكننا أن نقول سوى أن على العقل أن يخضع ولا يناقش ؟

« لأنك يوم تأكل منها موتا تموت »[٢٢] .

ومع ذلك فقد أكل آدم منها ولم يمت ، ولهذا نظر عدد من آباء الكنيسة إلي هذه الواقعة على أنها قصة رمزية . وعلى العكس يقال إن آدم قد عاش بعدها تسعمائة وثلاثين سنة أخرى . والحق أنه يمكن القول إن الحيوانات الأخرى لا تعرف أنها ستموت يوما، أما الإنسان فإنه يعرف ذلك عن طريق عقله . وهذا العقل هو شجرة المعرفة التى تمكّنه من معرفة نهايته مسبقا ، وربما كان هذا التفسير هو أقرب التفاسير إلى العقل .

« وقال الرب الإله : ليس جيدا أن يكون آدم وحده فأصنع له مُعينا نظيره »[٢٣] . وهنا يتصور القارئ أن الله سوف يعطى آدمَ زوجة، ولكن لا ، بل الذى حدث هو أنه أحضر له جميع الحيوانات .

« وكل ما دعا به آدمُ ذاتَ نفسٍ حية فهو اسمها »[٢٤] .

إن من الممكن القول بأن الاسم الحقيقى لأى حيوان هو الاسم الذى يحدد كل خصائص النوع الذى ينتمى إليه أو على

---

(٢٢) تكوين : ١٧/٢ .

(٢٣) تكوين : ١٨/٢ .

(٢٤) تكوين : ١٩/٢ .

الأقل الخصائص الرئيسية ، ولكن ليس هذا هو الواقع فى أية لغة .
إن فى كل لغة عددا من الكلمات التى تدل بجرسها على معناها، مثل " coq " التى تُطْلَق على الديك فى اللغة الكلتية لأنها تشبه صياحه ، و "lupous" للذئب فى اللغة اللاتينية ... إلخ .
ولكن لا يوجد من هذا النوع من الكلمات إلا عددٌ جدٌ قليل .
وفضلا عن ذلك، فإنه إذا كان آدم قد عرف على هذا النحو كل خصائص الحيوانات فهو إما قد أكل فعلا ثمرة المعرفة أو لم تكن هناك حاجة ليمنعه الله هذه الثمرة ؛ فقد كان يعرف فعلا أكثر مما تعرفه الجمعية الملكية اللندنيه أو أكاديمية العلوم فى باريس .

ولنلاحظ أن هذه هى المرة الأولى التى يرد فيها ذكر آدم فى سفر « التكوين » . وقد كان الإنسان الأول عند البراهمة ، وهم أقدم كثيرا جدا من اليهود ، يسمى « Adimo : أديمو » ، أى ابن الأرض، كما كانت زوجته تسمى «Procriti : پروكريتى» ، أى الحياة . وقد ورد هذا فى كتاب « الفيدا » ، الذى لعله أقدم كتاب فى العالم . ولآدم وحواء نفس المعنى فى اللغة الفينيقية .

« فأَوْقَعَ الربُّ الإلهُ سُباتا على آدم فنام ، فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحما . وبنى الربُّ الإله الضلع التى أخذها من آدم امرأة ، وأحضرها إلى آدم » [(٢٥)] .

(٢٥) تكوين : ٢١/٢ ـ ٢٢ .

إن الإصحاح السابق يذكر أن الله كان قد خلق قبل ذلك الرجلَ والمرأة ، فلماذا إذن أخذ ضلعا من آدم ليجعل منه امرأة موجودة بالفعل ؟ إن البعض يردّ بأن المؤلف إنما يذكر فى موضع شيئا ويشرحه فى موضع آخر .

« وكانت الحية أجمل جميع حيوانات البرية ... فقالت للمرأة : ... إلخ » .

يلاحظ أنه لا ذكر للشيطان فى هذا النص بأكمله . إن كل شيء فيه عادى . إن الحية فى نظر الأمم الشرقية جميعها ليست أشد الحيوانات مكرا فحسب ، بل هى أيضا خالدة . وعند الكلدانيين قصة خرافية تصف مُشَادّةً بين الله والحية ، وهى موجودة فيما خلّفه لنا فيريسيدس . وقد استشهد بها أوريجن فى كتابه السادس الذى ألفه للرد على سِلْسَم(٢٦) . وفى أعياد باخوس كان الناس يحملون حية . وطبقا لما ذكره يوزيبيوس فى " Ev-angelical Preparation " ، فى الفصل العاشر من الكتاب الأول ، فإن المصريين كانوا يضفون على الحية نوعا من الألوهية . وفى جزيرة العرب ، وكذلك فى الهند ، بل وأيضا فى الصين،

---

(26) Contra Celsum, VI, XXXIII .

كانت الحية تُعَدّ رمزاً للحياة . ولهذا كان إمبراطور الصين ، فى زمن سابق على زمن موسى ، يضع دائما صورة حية على صدره .

ولم تفاجأ حواء بحديث الحية إليها ، فقد كانت الحيوانات تتكلم فى كل الحكايات القديمة . وهذا هو السبب فى أن أحدا لم يفاجأ عندما جعل بيدبا ولقمانُ الحيواناتِ تتكلم .

إن هذه القصة هى قصة عادية وخالية من الرمز لدرجة أنها تذكر السبب فى أن الحية من يومها أصبحت تزحف على بطنها ، وأننا نحاول دائما أن نسحقها ، وأنها تسعى باستمرار إلى أن تلدغنا، بالضبط كما توضح قصص الأمم القديمة التى تدور حول تحول المخلوقات من شكلٍ إلى شكلٍ السببَ فى أن الغراب قد تحول لونه من أبيض قديما إلى أسود الآن ، ولماذا تترك البومة عشها ليلا، ولماذا يستمتع الذئب بافتراس الحيوانات ... إلخ .

« وقال للمرأة : تكثيرا أُكَثّر أتعاب حَبَلك . بالوجع تلدين أولادا ، وإلى رجلك يكون اشتياقك ، وهو يَسُود عليك »[٢٧] .

إن الإنسان ليتساءل : لِمَ تُعَدّ كثرة الحَبَل عقابا ؟ بالعكس لقد كان ذلك نعمة كبرى ، وبالذات عند اليهود . أما آلام الوضع

(٢٧) تكوين : ١٦/٣ .

فإنها شديدة بالنسبة للنساء الضعيفات فقط. وبالنسبة لهؤلاء اللائى تعودن على ممارسة العمل فإن ولادتهن تتم مبكرا جدا ، وبخاصة فى البلاد ذات المناخ الدافئ . وتختلف الحيوانات أحيانا اختلافا كبيرا فى مسألة الولادة ، بل إن بعضها قد يموت بسببها . وبالنسبة لتفوق الرجل على المرأة فإن ذلك أمر طبيعى تماما ، إذ هو نتيجة لقوته الجسدية والذهنية . إن قدرة الرجال، بوجه عام ، على التنبه المستمر أكبر من قدرة المرأة ، وأعضاؤهم أصلح من أعضائها للمجهود العقلى واليدوى ، لكن عندما يكون ذراع المرأة وعقلها أقوى من ذراع زوجها وعقله فإنها تتسلط عليه فى كل شىء . وفى هذه الحالة فإن الزوج هو الذى يكون خاضعا لزوجته . نعم، هذا صحيح ، ولكن من الممكن جدا أنه لم يكن هناك خضوع ولا آلام قبل الخطيئة الأولى .

« وصنع الربُّ الإلهُ لآدم وامرأته أقمصة من جلد وألبسهما »[٢٨] .

إن هذا النص دليل كاف على أن اليهود كانوا يعتقدون أن لله جسدا ماداموا يقولون إنه كان يمارس مهنة الحياكة . وقد كتب

(٢٨) تكوين : ٢١/٣ .

حاخام يدعى أليعازر أن الله قد غطى آدم وحواء بجلد الحية التى أغوتهما . أما أوريجن فيزعم أن هذا الرداء الجلدى لم يكن إلا لحما جديدا ، أى جسدا جديدا خلقه الله للإنسان .

« وقال الرب الإله : هو ذا الإنسان قد أصبح واحدا منا » (٢٩) .

الظاهر أن اليهود كانوا فى مبدإ أمرهم يعترفون بعدة آلهة . وأصعب من ذلك أن نعرف ما الذى كان اليهود يفهمونه من كلمة « إله : Elohim » . ولقد زعم بعض المفسرين أن عبارة « واحد منا » إنما تعنى « الثالوث » ، ولكن لا جدال فى أنه لا يوجد أى أثر لعقيدة التثليث فى الكتاب المقدس . إن التثليث ليس تركيبة مكونة من عدة آلهة ، بل هو إله واحد مثلث ، ولم يسمع اليهود قط بإله فى ثلاثة أشخاص . ومن المحتمل جدا أن اليهود قد فهموا كلمة « مثلنا » على أنها تعنى « الملائكة : Elohim » ، وأن هذا الكتاب لم تتم كتابته إذن إلا بعد أن اقتبسوا الاعتقاد فى هذه الآلهة الصغرى .

« فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التى أُخذَ منها » .

ولكن الله كان قد وضعه فى جنة عدن « ليعملها

---

(٢٩) تكوين : ٢٢/٣ .

ويحفظها » . فإذا كان آدم البستانى قد أصبح عاملا كادحا فلا بد من الاعتراف بأن وضعه لم يَسُؤْ كثيرا ، إذ من المؤكد أن العامل الجيد لا يقل عن البستانى الجيد .

إن لهذه القصة كلها ، طبقا لما يقوله بعض المفسرين المفرطى الجرأة ، صلة بذلك الوهم الذى كان الناس جميعا ولا يزالون يؤمنون به ، ألا هو أن العصور البدائية كانت أفضل من العصور الحديثة . إننا جميعا دائمو الشكوى من الحاضر والثناء على الماضى. والذين يقومون بالأعمال الشاقة يظنون أن السعادة فى البطالة ، غير مدركين أن أسوأ وضع هو وضع الإنسان الذى لا يعمل شيئا . وغالبا ما كان الناس تعساء ، كما أنهم كانوا مستنيمين إلى الوهم القائل بأنه قد غَبَر زمان كان كل إنسان سعيدا. وهذا كما تقول : « يحكى أنه كان هناك وقت لم تكن شجرة فيه تموت أو حيوان يصيبه المرض أو الضعف أو يفترسه حيوان آخر» . ومن هنا كان وَهْم العصر الذهبى ، والبيضة التى ثقبها أهريمان ، والحية التى سرقت الحمار ، ووصفة السعادة والخلود التى كان الإنسان قد أودعها فى الغبيط الذى على ظهره . ومن هنا كان عراك تايفون[٣٠] مع أوزيريس ، وعراك أوفيون مع

---

(٣٠) وحش خرافى له مائة رأس (المترجم) .

الآلهة ، وصندوق باندورا[٣١] الشهير، وكل تلك الحكايات القديمة التى لا شك أن بعضها مسلٍ ، ولكنها جميعا تخلو من أية فائدة ثقافية .

« وأقام شرقىَّ جنة عدن الكروبيمَ (Cherubim) ولهيبَ سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة »[٣٢] .

إن كلمة " kerub " معناها « ثور » . ولا شك أن صورة الثور الواقف على الباب وقد أمسك بسيف يشتعل هى صورة غريبة . ولكنهم فيما بعد ، رغم أنه كان محرما عليهم أن يصنعوا أية تصاوير ، قد أخذوا فى غير مواربة هذه الثيران وهذه الصقور من المصريين ، الذين قلدوهم فى أشياء كثيرة . لقد قدس المصريون أولاً الثورَ بوصفه رمزا للزراعة ، والصقرَ بوصفه رمزا على الرياح ، ولكنهم لم يجعلوا قَطُّ الثور بوابا .

« وحدث ... أن الآلهة رأَوْا بنات الناس حسنات ، فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا »[٣٣] .

---

(٣١) باندورا امرأة خلقها زيوس عقابا للبشر ، وأعطاها صندوقا كان يحوى كل الشرور . وعندما فتحته انطلقت منه هذه الشرور ، ولكن بقى فى قاعه الأمل لإدخال السكينة على قلوب البشر (المترجم) .

(٣٢) تكوين : ٢٤/٢ .

(٣٣) تكوين : ٢/٦ . وجدير بالذكر أن كلمة « الآلهة » فى هذا النص قد تغيرت ، فى النسخة المعدلة من الكتاب المقدس ، إلى « أبناء الله »=

كذلك فإن هذه الفكرة معروفة عند جميع الشعوب ، فما من أمة عدا الصين إلا وهبط إليها أحد الآلهة لينجب من بنات الشمس أبناء . لقد كان هؤلاء الآلهة ينزلون إلى الأرض ليتفقدوا مناطق نفوذهم ، وكانوا يرون بناتنا فيأخذون لأنفسهم أجملهن . وكان لابد أن يكون الأولاد الناتجون عن الاتصال بين هؤلاء الآلهة ونساء البشر أرقى من غيرهم من الرجال . ولم يفت « سِفْرَ التكوين » هو أيضا أن يقول إن هؤلاء الآلهة الذين ناموا مع بناتنا قد أنجبوا عمالقة . وهكذا اتفق « سفر التكوين » مرة أخرى مع الاعتقادات الشعبية .

« فهأنا آتٍ بطوفان الماء على الأرض »[٣٤] .

لن أذكر هنا إلا أن القديس أوغسطين قد نفى في كتابه « مدينة الله » أن يكون التاريخ قد عرف هذا الفيضان . وكذلك لم يعرف التاريخ الإغريقى ولا الرومانى هذا الفيضان العظيم ، إذ فى الواقع لم يُعْرَف إلا فيضانا ديوكاليون وأوكسيچز اللذان حدثا فى اليونان.وبرغم أنهما قد وُصِفا فى القصص الخرافية التى جمعها

= (وقد حافظت على كلمة « الآلهة » رغم أن النص العربى الذى بين يدىَّ للكتاب المقدس يقول : « أبناء الله » ـ المترجم) .

(٣٤) تكوين : ١٧/٦ .

أوفيد بأنهما قد عما الأرض كلها ، فإن أحدا في شرق آسيا لم يسمع بهما البتة . وعلى هذا فقد كان القديس أوغسطين على حق حين قال إن التاريخ لم يسجل فيضان الكتاب المقدس .

وقال الله لنوح :

« وهأنا مقيم ميثاقي معكم ومع نسلكم من بعدكم ومع كل ذوات الأنفس الحية التي معكم (الطيور والبهائم وكل وحوش الأرض التي معكم من جميع الخارجين من الفُلْك حتى كل حيوانات الأرض) » [٣٥].

يقول الكافر مستغربا دهشا : « أيعقل أن يقيم الله ميثاقا مع الحيوانات ؟ يا له من ميثاق ! » . ولكن مادام قد دخل في ميثاق مع الإنسان فلم لا يدخل في مثله مع الحيوانات ؟ إن للحيوانات مشاعر ، وفي المشاعر شيء إلهي شبيه بما في أشد الأفكار ميتافيزيقية . وعلى أية حال فإن الحيوانات تشعر أفضل مما يستطيع غالبية الناس أن يفكروا . ويبدو أنه بفضل هذا الميثاق كان فرنسيس الأسيسي مؤسس الطريقة الساروفيّة[٣٦] يقول للجراد والأرانب

---

(٣٥) تكوين : ٩/٩ ـ ١٠ (النص الذي استشهد به ڤولتير لا يدخل فيه الكلام الذي بين القوسين والذي أضفته ليتضح تعليق الفيلسوف الفرنسي على النص ـ المترجم) .

(٣٦) الساروفية : نسبة إلى « الساروف » (الساروفيم) ، وهو أحد الملائكة المحيطين بعرش الله حسب العقيدة اليهودية القديمة (المترجم) .

البرية : « غني يا أختي الجرادة ، وارتع يا أخي الأرنب » . ولكن ما هي بنود هذا الميثاق ؟ هي أن تأكل الحيوانات بعضها بعضا ، وأن تتغذى بلحومنا ونتغذى بلحومها ، وأننا بعد أن نأكلها ننقلب نحن البشر في وحشية على بعضنا البعض ثم لا يبقى أمامنا في النهاية إلا أن نأكل أقاربنا الذين نذبحهم بأيدينا . والحقيقة أنه لو كان هناك مثل هذا الميثاق لكان ينبغي أن يكون مع الشيطان ذاته .

ومن الممكن ألا يكون لهذا النص من معنًى أكثر من الإشارة إلى أن الله هو السيد المطلق لكل ذي نفس حية . ولا يمكن أن يكون هذا العهد إلا أمرا إلهيا ، وتكون كلمة « ميثاق » قد استُخْدِمَتْ هنا على سبيل التوسع . إن الألفاظ يجب ألا تزعجنا ، والعبرة بروح النص . وعلينا أن نضع في الاعتبار الزمن الذي أُلِّف فيه هذا الكتاب الذي يثير فزع الضعفاء وينير عقول الأقوياء .

« سأضع قوسي في السحاب فتكون علامة ميثاق (بيني وبين الأرض) » [٣٧] .

لاحظ أن المؤلف لا يقول : « وضَعْتُ قوسي في السحاب » بل يقول : « سأضع »[٣٨] . ومعنى هذا بوضوح أنه طبقا للرأي

---

(٣٧) تكوين : ١٣/٩ .

(٣٨) في النسخة المعدلة من الكتاب المقدس : « وَضَعْتُ » ، وكانت قبل ذلك : « سأضع » .

الشائع فإن قوس قزح لم يكن موجودا على الدوام . إنها ظاهرة سببها المطر ، على حين أنه قد ورد ذكره هنا بوصفه إشارة إلهية إلى أن الأرض لن يغمرها الطوفان مرة أخرى . إن من الغريب اختيار المطر كإشارة تؤكد أننا لن نتعرض للغرق ، ولكن من الممكن أن يجيب الإنسان على ذلك بأنه عندما يحدق به خطر الغرق فإن قوس قزح يبعث في قلبه الاطمئنان .

« فجاء الملكان إلى سدوم مساء »[٣٩] .

ربما كانت قصة الملكين اللذين أراد أهل سدوم اغتصابهما هي أغرب القصص التي اخترعها القدماء . ومع ذلك فلا بد أن نعرف أن آسيا كلها تقريبا كانت تعتقد في الشياطين الذين يجامعون النساء ، والشيطانات اللاتي يجامعهن الرجال ، وأن هذين الملكين أكمل من البشر ، ولا بد أنهما كانا أجمل وأسهل استثارة من الناس العاديين أثناء وجودهما بين ظَهْرَانَى مثل هذه الأمة الفاسدة .

أما بالنسبة للوط ، الذي قدّم بنتيه لأهل سدوم بدلا من الملكين ، وزوجته ، التي استحالت إلى عمود من الملح ... إلى آخر القصة ، فما الذي يمكننا أن نقوله ؟ إن القصة الخرافية العربية التي تدور حول سنيرا ومرا[٤٠] تشبه بعض الشبه الاتصال الجنسى

---

(٣٩) تكوين : ١/١٩ .

(٤٠) الأول كان ملكا لقبرص ، والأخرى ابنته . وتقول القصة إنها =

بين لوط وابنتيه . كذلك فإن حكاية فليمون وبوسى لا تختلف عن حكاية الملكين اللذين ظهرا للوط وزوجته . أما بالنسبة لتمثال الملح فإنى لا أدرى ما الذى يشبهه . ترى أتشبهه قصة أورفيوس ويوريديس ؟

إن بعض العلماء يَرَوْن أن مثل هذه الأشياء التى لا يمكن تصديقها والتى تصدم أصحاب الإيمان الضعيف ينبغى أن تُحْذَف كلها من الكتاب المقدس ، لكن هؤلاء العلماء يوصفون بأنهم فاسدو المعتقد ويستحقون الحرق . ويقول معارضوهم إنه لا يمكن أن يكون الإنسان مؤمنا صادق الإيمان إلا إذا آمن بأن أهل سدوم كانوا يريدون اغتصاب الملكين . هكذا يفكر أولئك المتوحشون الذين يريدون أن يسيطروا على عقول الناس .

لقد رأى بعض آباء الكنيسة ذوى الحصافة أنه ينبغى النظر إلى هذه القصص على أنها قصص رمزية ، مقلدين فى ذلك اليهود وبالذات فيلون . بل إن بعض العقلاء الذين يتمتعون بنصيب من

= تسللت إلى سريره فنامت معه ، ولما اكتشف أبوها جريمتها وأراد أن يقتلها هربت إلى جزيرة العرب حيث وضعت أدونيس وتحولت إلى شجرة مرّ . ويلاحظ أن اسمها يقترب من اسم هذه الشجرة ، ويمكن ترجمته إلى « مرّ » (المترجم) .

الحصافة أكبر من أولئك الآباء قد حاولوا منع ترجمة هذه الكتب إلى اللهجات المحلية ، وذلك خوفا من أن يعرف الناس قيمة الأشياء التى كانوا يطالَبون بالإيمان بها وتعظيمها .

ونأتى إلى النتيجة التى لابد من استخلاصها من كل هذا ، ألا وهى أن أولئك الذين يفهمون هذا الكتاب حق الفهم ينبغى عليهم أن يتسامحوا مع هؤلاء الذين لا يفهمونه ، فإن هؤلاء إذا كانوا لا يفهمون منه شيئا فليس الذنب ذنبهم . ولكن هؤلاء الذين لا يفهمون منه شيئا عليهم أيضا أن يتسامحوا مع أولئك الذين يفهمونه .

« حكايات الخلق الخرافية القديمة »

لإدوارد كـلُـدْ

حكايات الخلق الخرافية القديمة

في كل زمان ومكان كان الإنسان يرفع بصره إلى السماء الكبيرة الصامتة بشمسها ونجومها التى لا تتوقف عن الدوران ، ويلقى به إلى الأرض وقد لبست رداءها الكثير الطيّات والألوان ، متسائلا : هل خلقت هذه الأشياء نفسها ؟ أم هل لها من خالق؟ وإذا كان الأمر كذلك ، فكيف خلقها ؟ ومتى ؟ وما شكله ؟ لقد طُرِحَتْ إجابات من كل نوع وشكل على هذه الأسئلة ، كما قد نُسِجَتْ عدة قصص غير قليلة لشرح هذه المسألة الصعبة .

ومن المتعالَم المشهور أن بين الاعتقادات الكثيرة التى اتضح الآن أنها خاطئة والتى كان الناس يؤمنون بها فى الأعصر الخوالى اعتقادَ الناس أن الأرض مسطحة وثابتة ، وأن الشمس والقمر والنجوم إنما خُلِقَتْ لها خصِّيصاً لإنارتها ليلا ونهارا . والحقيقة أنه لا موضع للعجب مِن مثل هذا الاعتقاد ، إذ هو الاعتقاد الوحيد الذى كان ممكنا فى تلك العصور . إن الناس حين تتحدث عن شيء فإنما تتحدث عنه كما يبدو لهم ، ونحن الآن ما زلنا نتحدث عن شروق الشمس وغروبها مع أنها لا تشرق ولا تغرب . ولو افترضنا أنك لم تتعلم شيئا من الكتب أو غيرها من مصادر المعرفة عن استدارة الأرض وتحركها فى الفضاء ، وكنت تعيش فى سهل فسيح لا تغادره أبدا حيث لا تلال تعترض خط الأفق الطويل

المنخفض من حولك ويمكنك رؤية البحر مثلا وقد أَخْفَى من بعيد هياكل السفن، فإنك حينئذ ستتصور أن الأرض مسطحة ثابتة وأن الشمس تضيئها فى رحلتها على صفحة السماء كل يوم . والسبب فى ذلك أن حواسك هى التى أدت بك إلى هذا الاعتقاد. كذلك ما كان ليمكنك أن تعرف أى شيء عن ضخامة الشمس والنجوم والمسافة التى تفصلها عن الأرض ، بل ربما وقعت أيضا في أشد التخمينات سذاجة بخصوص هذه الأمور كما فعل من قَبْلُ عدد من حكماء الإغريق الذين كان أحدهم يقول إن حجم القمر فى حجم ذلك الجزء من بلاد الإغريق الذى كان يسمَّى قبلا بيلوبونيز (Peloponnesus)وأصبح اسمه الآن « بلاد المورة » (The Morea) فكانوا يضحكون منه لجرأته ، على حين كان واحد آخر يعتقد أن ذلك الخط الضوئى الشاحب الذى سمّته إحدى الأساطير الجميلة : « The Milky Way : درب التبانة » ، والذى نعرف أنه يتكون من ملايين النجوم ومنها شمسنا، هو الموضع الذى يلتحم عنده نصف السماء .

كذلك قد مر وقت جِدُّ طويل قبل أن يتقبل الناس فكرة أن هناك ملايين من البشر يمشون على الناحية الأخرى من الأرض وقد وضعوا أقدامهم فى وضع معاكس لأقدامنا .

بيد أنه كلما تعمق العقل البشرى فى هذه الأمور ظهر له أن

كثيرا منها يختلف عما كان يبدو من قبل . وبهذه الطريقة اكتسبت البشرية المعرفة الصحيحة بالأشياء من خلال التصحيحات البطيئة واليقينية لما كانت الحواس قد أخبرتها به من قبل . ولا يتسع كتاب ككتابنا هذا لوصف تلك السبلِ المظلمة المكنوفة بالأخطار والتى شقت فيها العقول العظيمة فى الماضى طريقها إلى النور ، والصمتِ والرعب اللذين عملت هذه العقول فى ظلهما ، ورعدةِ الفزع وهى تُطْلِع الأقلية التى تثق بها وتطمئن إليها على اكتشافاتها. ومع ذلك فإنها قصة شائقة يجدر بك أن تدرسها .

والآن فلننظر فى عدد من الخرافات القديمة حول أصل الكون . إن هذه القصص هى فى معظمها قصص مجهولة ، وبرغم أن الصيغ التى صُبَّتْ فيها تحفّها الغلظة والحماقة فإنها جديرة منا بأكثر من ابتسامة الاستخفاف . لقد كانت هذه القصص معارف حقيقية عند الذين ألفوها ، وسوف يبتهج العقلاء بوجود الحقيقة التالية فيها ، وهى أنه فى وجود الأرض والبحر والسماء قد استطاع الإنسان أن يرى حقيقة أكبر من كل ذلك ، بل العلة التى بدونها لم يكن لهذه الأشياء أن توجد ، وهى علة خلع عليها عديدا من الأسماء وعبدها فى كثير من الأشكال الغريبة . وإن الروح التى ينبغى أن ننظر بها إلى هذه التخمينات الساعية للوصول إلى

الحقيقة لتُقدِّمُها لنا خير تقديم هذه القصةُ التى وردت فى كتاب قديم أضيف إلى «كتب الفيدا» أو كتب الهندوس المقدسة : طلب أب من ابنه التافه العقل العاطل من أى حس استطلاعى أن يحضر له ثمرة من إحدى أشجار التين الهندى الضخمة ، ثم قال له : « اكسرها » ، ثم سأله : « ما الذى تراه بداخلها؟ » ، فأجاب الابن : « بعض البذور الصغيرة جدا » . فأمره الأب من جديد أن يكسر واحدة من هذه البذور ، ثم سأله « ما الذى تراه فيها ؟ » ، فقال الابن : « لا شىء يا أبى » . قال الأب : « يا بنى ، حيث لا يمكنك أن ترى شيئا ، هناك شجرة تين هندى عملاقة » .

وعلى سبيل مقارنة هذه القصص بالقصص الآتية قد يكون من الخير أن نسوق هنا بإيجاز مبسَّط روايتَيِ الخلق الورادتين فى « سفر التكوين » : فأما فى الرواية الأولى التى يتضمنها الأصحاح الأول والآيات الثلاث الأولى من الأصحاح الثانى فقد قيل لنا : « فى البدء خلق الله السماء والأرض » .

وفى اليوم الأول خُلِق النور وفُصِل من الظلام ، وهكذا كان النهار والليل .

وفى اليوم الثانى خُلِق فضاء فوق الأرض فحجز بين المياه التى

على الأرض وتلك المخزونة على هيئة مطر (وكما ورد فى الآية الحادية عشرة من الأصحاح السابع من « سفر التكوين » ، فإن هذا الفضاء أو هذه القبة كان يُعْتَقَد أنها مليئة بالنوافذ التى تُفْتَح عندما تكون هناك حاجة لسقوط المطر . وإن الاعتقاد فى أن السماء سقف كبير يغطى أرضا مسطحة لهـو اعتقـاد يلائم بسهولـةٍ عقولَ الجهلة غير المتعلمين . إن البولينيزيين مثلا يسمون الأجانب « ممزِّقى السماء » ، وذلك على أساس أنهم قد اقتحموا الأرض آتين من عالم آخر خارجى) .

وفى اليوم الثالث جُمِع الباقى من الماء معا على هيئة بحار ، وهُيِّئت الأرض لتنبت الحشائش والأعشاب والشجر .

وفى اليوم الرابع خلق الله نورين عظيمين هما الشمس والقمر ، « وخلق النجوم أيضا » .

وفى اليوم الخامس ملأ الماء بالسمك ، والقُبَّةَ التى فرقنا بالطيور.

وفى اليوم السادس انتهت عملية الخلق بإنتاج الأرض حيوانات ذوات أربع وكائنات زحافة . أما الرجل والمرأة فقد جاءا آخر المخلوقات وأهمها ، وكانا « على صورة الله » ، الذى نظر إلى كل ما خلقه ورأى أنه حسن ، ثم فى اليوم السابع استراح من عمله .

وأما الرواية الثانية التى وردت فى الأصحاح الثانى من سفر « التكوين » من الآية الرابعة إلى نهايته ، فإنها تتحدث عن الأرض وهى خالية من الماء والنباتات والأشجار لأنه لم يكن ثمة مطر أو بشر يزرعون الأرض .

ثم سقى الأرضَ ضباب، وخلق الربُّ الإلهُ الإنسان من تراب الأرض ، ونفخ فى منْخِرِيْه نفخة الحياة ، فـ « أصبح نفسا حية » .

ثم وُضِع الإنسان فى جنة عَدْن وسُمِح له أن يأكل من ثمار أى نوع من الشجر ما خلا شجرة معرفة الخير والشر . ثم خُلِقَت الحيوانات والطيور وأُتِيَ بها إلى آدم ليخلع عليها أسماءها . وفى النهاية خلق الله المرأة من أحد ضلوع آدم وهو نائم .

وهنا قد تتساءل : كيف ينبغى أن نقرأ هذه القصة وغيرها من قصص الكتاب المقدس ؟ إن ما تقوله لنا هذه القصص عن عملية الخلق والنشأة الأولى للإنسان والعالم الذى نعيش فيه وعمر الأرض وغير ذلك من المسائل المشابهة يختلف عما نقرؤه فى الكتب المدرسية عن هذه الموضوعات اختلافا كبيرا نشعر معه بالحيرة لدرجة أننا لا ندرى أيهما أصدق .

إن الإجابة التى سأحاول أن أجيب بها على هذ السؤال قبل

أن ننتقل إلى القصص الأخرى قد تجنبك الجهد الشاق الذى ستبذله بعد ذلك فى نبذ كثير مما يقال غالبا فى هذه الأمور .

وبما أن ما يقال عن إحدى قصص الكتاب المقدس يصدق على الباقى ، فإننا سنتناول هنا الروايات التى أوردناها عن خلق الكون .

ولقد كان الناس فى العصور الماضية يعتقدون أن كل كلمة فى هذه القصص قد وقعت فعلا ، بل إن كثيرا من الناس لا يزالون يعتقدن ذلك متجاهلين تجاهلا غريبا أن الرواية التى وردت فى الأصحاح الأول من « سفر التكوين » عن الشكل (mode) والنظام اللذين خُلِقَتْ على أساسهما الأشياء تختلف عن الرواية الواردة فى الأصحاح الثانى ، وعلى هذا فإن إحداهما لا بد أن تكون مخطئة . وبمرور الوقت بدا أن رواية الكتاب المقدس تتعارض مع ما تدل عليه مخلفات الماضى التى عُثِر عليها فى باطن الأرض. وبرغم أن كثيرا من الكتب قد أُلِّف لإثبات أنه لا يوجد تعارض حقيقى ، فإن كل كتاب من هذه الكتب قد فشل فى إثبات تلك الدعوى . ولهذا السبب فإن بعضا آخر قد اطّرح روايات سفر « التكوين » عن نشأة الخلق ظِهْرِيًا بوصفها روايات ساذجة لا معنى لها يرفضها العقل والعلم معا . من هذا سوف ترى أن هناك ثلاثة

آراء فى هذا الموضوع ، وينبغى أن نقول كلمة قصيرة عن كل منها .

١ ـ هناك أولئك الذين يعتقدون أن الله قد خلق الأشياء كلها فى ستة أيام ، وأنه قد ثبَّت الشمس والقمر فى صفحة السماء فى اليوم الرابع بعد خلق النور وبين خلق النباتات والحيوانات، وذلك لأن هذا هو ما يجدونه فى الكتاب المقدس .

والحقيقة أنه ليس من الحكمة أن يقبل الإنسان أى شىء على أنه حقيقى لا لشىء سوى أنه ورد فى كتاب من الكتب ، لأنه إذا ظهر أن مؤلف الكتاب قد أخطأ وأن معلوماته ناقصة وأقواله تخالف الحقائق ، فإن الأساس الذى بنى عليه اعتقاده سينهار وينهار معه هذا الاعتقاد . إننا عندما نقرأ كتابا فى التاريخ أو العلوم الطبيعية أو أى موضوع آخر فإننا نعتقد أن الكاتب قد أورد كل ما يمكن قوله فى المسألة المطروحة بعد أن استفرغ جهده فى البحث والتمحيص ، ويسعدنا أن نتعلم ما يقدمه لنا وأن نثق به مادامت قلة قليلة من الناس هم الذين عندهم الوقت أو المقدرة لبحث الموضوع بأنفسهم . ولكننا مع ذلك على استعداد ، مثلنا مَثَلُ الكاتب نفسه، لنبْذ كل ما قرأناه فى هذا الموضوع إذا ثبت أنه غير صحيح، والترحيبِ بجديد المعارف الذى يظهر مع الأيام .

وقد حاولت ، فى صفحة ٢٣٠ ، أن أُبيِّن أن هذا هو ما

يجب أن نفعله في حالة الكتاب المقدس . إن المؤلفين المجهولين لـ « سِفْر التكوين » الذين يُظَنّ أنهم قد استقَوْا ما أوردوه في هذا السفر من مؤلفات سابقة ، والذين كانت قصص الأمم الخالية معروفة لهم كما يدل على ذلك التشابه بين القصص اليهودية والبابلية والفارسية، يذكرون أن خلق الأرض سابق على الشمس وأن السماء عبارة عن سقف صُلْب مقبَّب فوقها . ولقد كانت الأرض في نظرهم مسطحة وثابتة ، وما دام لم يأت صوت من وراء الغيب يعلّم البشرية الأشياء التى أعطاها الله القدرة على تعلمها بنفسها فإن هؤلاء الكتاب لم يكونوا أحسن من أحكم حكماء عصرهم . وبرغم كل ذلك فقد كانت الأرض تجرى فى مدارها بسرعة تسعة عشر ميلا فى الثانية ، وإلا ما كان يمكن للربيع والصيف والخريف والشتاء أن يكون لها وجود .

وإذا كان هناك بين الكتب المقدسة التى يدعى المؤمنون بها ، كما سوف نرى ، أن كل كلمة فيها هى وحى إلهى ، كتاب واحد يخلو تماما من الأخطاء ولم تتسرب إليه أية غلطة ، فإنه ليسرنا أن نعرف ذلك الكتاب لأن عشاق الحقيقة ليست لهم إلا أمنية واحدة ، ألا وهى معرفة ما هو حقيقى . بيد أن مثل هذا الكتاب لم ولن يوجد ، لأن كل كتاب إنما هو من تأليف البشر ، ومن ثم فهو عرضة للأخطاء . شىء واحد فقط معصوم من

الخطأ، وهو ما خطّته يد العليّ القدير فى طبقات الأرض الصخرية .

٢ ـ أما هؤلاء الذين يعتقدون أنه لا فرق حقيقى بين ما جاء فى الكتاب المقدس وبين حقائق العلم فإنهم يقولون إن الكتاب المقدس عندما يقول إن الله قد خلق السماء والأرض فى ستة أيام فليس المراد أياما من أربع وعشرين ساعة بل « عصورا » و«مراحل» متطاولة ، وإن كانت غير معروفة المدى .

إن من الواجب علينا جميعا أن نقر بأنه من الخطورة الشديدة بمكان أن نحمل مَعْنًى ما على كلام من شأنه ، إذا ميّعنا ما يقصده مستعمله منه ، أن يفسد معناه الظاهر . إن كلام الكتاب المقدس هو أقدس من أن يحتمل العبث به . وإذا خلعنا على كلام ما أكثر من معنى فإننا بذلك نجعله يعنى أى شىء يعنّ لخيالنا ، إذ إن ما يصدر عن الشفاه فى خفة وعدم جدية يتقبله القلب بنفس الخفة وعدم الجدية.

والحقيقة أنه لا يمكن أن يكون هناك أى شك فى أن المقصود من كلمة « الأيام » التى وردت فى سفر التكوين هو الأيام التى نعرفها ما دام هذا السِّفْر قد جعل لكل يوم صبحا ومساء (انظر الأصحاح الأول / الآيات ٥ ، ٨ ، ١٣ ، ١٩ ، ٢٣ ، ٣١). فإذا أضفنا إلى ذلك أن الكتاب المقدس قد حدد اليوم السابع من

الأسبوع على أنه السبت اليهودى على أساس تقديس الله لذلك اليوم ، تأكد لدينا أن « المراحل » وما يشبهها من المعانى التى لا تنص على أى مدى زمنى معين كانت أبعد ما يكون عن ذهن مؤلف الكتاب المقدس .

ثم إن استخدام العدد « سبعة » يذكرنا بأن بعض الأعداد كانت مقدسة لدى الأمم القديمة ، وأن ما كان يكتنفها قديما من أسرار لا يزال حيا فى المخاوف الساذجة التى لا تخضع للمنطق ، وكذلك فى الأمثال المتعلقة بالحظ أو النحس الذى يلازم هذه الأعداد . إن عبادة الشمس والقمر والكواكب الخمسة قديما ربما تفسر لنا سر اختيار « السبعة » بوصفها عددا مقدسا لدى بعض الشعوب فى الشرق والغرب ، وكذلك قد يفسر لنا هذا السرَّ التغيراتُ الظاهرة فى شكل القمر ، وهى المسماة « منازل القمر » ، التى تحدث كل سبعة أيام والتى كانت سببا فى تقسيم الوقت إلى أسابيع منذ زمن موغل فى القدم .

وهذه القداسة ، فيما يبدو ، قد ظهرت فى القول بأن عملية الخلق قد تمت فى سبعة أيام ، وكذلك فى كثرة ورود العدد «سبعة » فى الكتاب المقدس . ثم إن هذه الأمور بدورها كانت سببا فى إضفاء القداسة على قصص العصور الوسطى ، على حين

أن حكايات النائمين السبعة [١] والحكماء السبعة وعجائب الدنيا السبع ... إلخ ترينا مدى الأهمية التى كانت لهذا العدد فى العصور الخوالى.

٣ ـ ولكن ليس من الحكمة ولا من المقبول أن ننبذ قصة الكتاب المقدس وراءنا ظهريًا. إن بمستطاعنا أن نكون عادلين بالنسبة للماضى ، وإن ديّننا له أكبر من أن نوفّيه ما دامت تخميناته هى التى فتحت الطريق أمام البشرية للوصول إلى المعارف اليقينية فى عصرنا الراهن . ومهما تبّد لنا تفسيرات العصور الماضية طفولية فإن هذه التفسيرات كانت أفضل المتاح فى تلك العصور . إن هذه التخمينات هى جهود أناس أمناء لو كانوا يعيشون الآن لَسرَّهم أن يصححوا رواياتهم تبعا للاكتشافات العظيمة التى توصلت إليها البشرية فى الفترة الأخيرة . وهذه الروايات تتضمن على الدوام الحقيقة التالية ، وهى أن كل شىء لابد له من سبب ، وأن هذا «المجموع الهائل من الأشياء التى لا تكف عن الكلام لحظة» يشهد على أن ثمة قوةً قادرة على خلق كل شىء وتشكيله تبعا لمراميها هى ، قوةً اصطلح الناس على تسميتها : « الله » .

١ـ المقصود بالنائمين السبعة أهل الكهف .

وعلى هذا فإياك أن تحتقر القديم لقدمه ، وكذلك إياك أن ترفض الجديد لأنه جديد ، وليكن تقويمك لكل سِجِلٍّ من سجلات الماضى على قدر ما يمكن أن يكون فيه من الحقيقة . ذلك أنه إذا لم يكن فيه أى مقدار من الحقيقة فسيكون مصيره التلاشى بالغا ما بلغ عدد الملايين الذين يؤمنون به ، وبالغا ما بلغ عُلُوّ الصرخات التى يجهدون جهدهم ليغطوا بها على أصوات الذين لا يؤمنون .

والآن ننتقل إلى أنواع أخرى من القصص بادئين بالقصص البابلية التى تتعارض ملامحها الوحشية القبيحة مع بساطة القصة الواردة فى سفر « التكوين » وما يجللها من وقار هادئ تعارضا شديدا . وهذه القصص البابلية التى لا شك أنها لم تمسسها يد العبث قد وصلت إلينا على لسان راهب بابلى يدعى بيروزوس كان معاصرا للإسكندر الأكبر ، وهى تشبه إلى حد كبير قصة الخلق الفينيقية القديمة .

لقد غَبَرَ وقتٌ كانت الدنيا فيه عبارة عن ظلام وماء لا غير ، ومن هذين خرجت مخلوقات بشعة : رجال مجنَّحون ، ورجال لهم سيقان كسيقان الجِداء وقرون كقرونها ، وثيران ذات رؤوس بشرية، وغير ذلك من الوحوش المشابهة . وإلى جانب كل هذه المخلوقات كانت هناك امرأة هى ربة الطبيعة وأم كل الكائنات ، قَطَعَها بيلوس رب الأرباب نصفين جاعلا من النصف الأول

الأرض ومن النصف الثانى السماء . وقد أدى ذلك إلى موت الوحوش لأنها لم تستطع مواجهة الضياء الذى ما إن أبصره بيلوس حتى قطع رأسه ، ثم خلط الأربابُ الدم الذى سال منه بتراب الأرض وخلقوا من هذه العجينة الإنسان ، وهذا هو السبب أن في الإنسان بعضا من الطبيعة الإلهية . ثم خلق بيلوس بعد ذلك الشمسَ والقمر والنجوم والكواكب الخمسة .

وفى الديانة المصرية القديمة قصة تقول إن الشمس جرحت نفسها ، ومن نهر الدم المتدفق منها خَلَقَتْ كلَّ الكائنات .

القصة الفارسية : وهى مأخوذة من الكتاب المقدس لذى المجوس والمعروف بـ « زند أفستا » ، وخلاصتها أن الكائن السرمدى خلق إلهين كبيرين : الأول يدعى هرمزد ، وهو ملك النور ، وقد ظل مخلصا له . والثانى ملك الظلام ، وقد أصبح خالقا للشر .

وللقضاء على الشر أُسْنِدَتْ إلى هرمزد مهمة خلق العالم الذى صِنع على أساس أن يستمر لمدة اثنى عشر ألف عام ، كما بنى قبة السماء الصلبة والأرض التى ترتكز عليها هذه القبة ، ثم سكن فوق قمة جبل شامخ يخترق السماء العليا ويصل إلى مصدر النور . وبعد ذلك خلق العالم على هذا النحو على ستة مراحل ، وكان الإنسان ، كما فى سفر التكوين ، هو آخر المخلوقات جميعا.

وإن الثقة الجميلة التى كانت تغمر قلب مؤسس الديانة الفارسية القديمة فى أن الخير سوف ينتصر فى نهاية المطاف على الشر سوف تظهر فيما بعد فى التقرير الخاص بهذه الديانة .

القصة الهندستانية : وهى مأخوذة من كتاب مهم من كتب الديانة البراهمية اسمه « قوانيـن مانـو » ، ويتنـاول الجـزء الأول منه مسألـة « الخلق » .

لقد كان الكون ظلاما فى ظلام ، ثم قشع براهما (ومعناه القوة) المحجوبُ عن الأبصار الظلامَ خالقا أولاً الماء ثم جعله يتحرك . ومن بذرة وضعها فى ذلك الماء خرجت بيضة ذهبية يسطع منها ألف شعاع ، وفى هذه البيضة وُلِـد براهما نفسه ، وظل بداخلها إلى أن شقها فى النهاية نصفين أصبح أحدهما السماء والآخر الأرض .

(وقد كان الفنلنديون يعتقدون أن السماء والأرض قد خُلِقَتا من بيضة منقسمة نصفين : النصف الأعلى هو السماء ، والصفار هو الأرض ، والسائل الأبيض هو البحر المحيط بكل شىء) .

ثم أخرج براهما العقل وخلق عددا من الآلهة الصغار والرجال الحكماء الذين خلقوا بدرهم الحيوانات والشياطين والسحب والأنهار .

ولا شك أنك سمعت بما يقوله الهندوس من أن الأرض ترتكز على عدد من الحيوانات واقفا كل منها على الآخر ، وتحتها جميعا أربعة من الأفيال ، لأن سيقانها « تصل إلى أسفل مكان ! » .

القصة الإسكندناڤية : غَبَرَ زمان لم يكن فيه أى شىء ، فلا صوت ولا بحر ، ولا موجة تلطف الحر. ولم يكن ثمة أرض تحت، أو سماء فى الفضاء . لا شىء إلا الفراغ وإلا خليج فاغر فاه ، لكن شيئا من الخضرة لم يكن .

وإلى الجنوب من هذا الخليج الفاغر فاه كانت هناك منطقة من اللهب ، وإلى الشمال موضع بارد كالثلج مظلم . وانهمرت سيول من السم من جهة الشمال فى ذلك الخليج فملأته بالثلوج، لكن النار أقبلت من الجنوب وسقطت على الثلج فأذابته ، ومن القطرات المذابة نهض العملاق « إِيمير » ، وهو كائن شرير له أسرة شريرة من العمالقة المخلوقين من الصقيع . وكذلك خُلِقَتْ بقرة من الثلج المذاب . وهذه البقرة لم تُمِدّ فقط العمالقة بلبنها ، بل أخذت أيضا تلعق الحجارة المكسوة بالملح والصقيع الأبيض حتى صنعت منها رجلا ذا قوة وجمال . ثم إن هذا الرجل قد أصبح أبا لأودين وڤيلى وڤيه . وقد ذبح هؤلاء الثلاثة « إِيمير » ،

ومن لحمه صنعوا الأرض ، ومن دمه البحارَ والمياه ، ومن عظامه الجبالَ ، ومن شعره الأشجار ، ومن جمجمته السماوات ، ومن مخه السحابَ السابح فى السماء ، ومن حاجبيه جداراً يحيط بالأرض ليحميهم من أبناء « إيمير » العمالقة الذين يرتعبون من غضبهم .

إن ديانة الإسكندنافيين القدماء ، وهم فرع من الدوحة الألمانية الكبيرة ، متضمنة فى كتابين يسميان " The Eddas " ، وهى كلمة يُعتَقَد أنها تعنى « الجدة البعيدة » . ويتضمن « الإدّا » الأقدمُ القصائدَ الأسطورية القديمة ، أما « الإدّا » الأحدث أو « الإدّا » النثرى فيتضمن قصائد وثنية كالتى اقتبسناها لتونا مختلطة بأفكار تنتمى إلى عصور لاحقة ، ويجرى الحديث فيه عن أودين « أبى الكل » على النحو التالى :

« بدأ جانجليرى كلامه قائلا : « مَنْ أول أو أكبر الآلهة سنّا ؟ » فأجاب هار : « اسمه فى لغتنا « أبو الكل » ، ولكنّ له فى أسجارد القديمة أو « مثوى الالهة » اثنى عشر اسما » .

... « يُدْعَى أودين « أبا الكل » لأنه هو أبو الآلهة كلهم ، كما يُدْعَى « الأب المختار » لأنه يختار كل من يسقطون فى الحرب جاعلاً منهم أبناءه الذين أعدَّ لهم بهو المختارين » .

ويتحدث أهل الشمال القدماء عن الموت بوصفه « العودة

إلى الوطن » ، وهى فكرة غاية فى الجمال والرقة . ويزيدها رقة وجمالا كونها صادرة عن هولاء المتوحشين الجوابين للبحار ليس لهم ديار .

القصة الإغريقية : وهى مأخوذة من الـ " Theogony " أى « أصل الآلهة » ، الذى يقال إنه أحد أعمال هزيود الشاعر الإغريقى القديم ، والذى يبجله الرهبان والحكماء الإغريق تبجيلا شديدا .

فى البدء كان هناك « كايوس » الهائل العديم الشكل ، ثم خرج منه « جايا » ، وهى الأرض الواسعة الصدر ، و « تارتاروس » المظلم تحت الأرض ، ثم ظهر « إيروس » الجميل ، وهو الحب . ومن كايوس ظهر الليل والظلام ، ومن هذين الأثير والنهار ، على حين وَلَدَت الأرضُ « أورانوس » ، وهى السماء ذات النجوم المحيطة بكل شيء ، وكذلك الجبال والبحر . ثم تزوج جايا وأورانوس ، وعنهما انبثق أنصاف الآلهة والبشر .

إنك عندما تزداد معرفة بالشعوب القديمة التى عبرت عن أفكارها حول الأرض والسماء والمخلوقات الحية بهذا الأسلوب المتنوع ، وعندما تعرف المناظر المختلفة التى عاش بينها كل شعب ، وكيف أن الصقيع والنار كانا يتعاركان عراكا ضاريا أبديا ، وكيف

أن العملاق الثلجى كان يعيش فى بيت يفتقر تماما إلى الدفء حيث كان أهل الشمال الخشنون يعيشون ، وكيف أن نور الشمس والظل قد خلقا الأرض الجبلية التى تغطيها الغابات وتجرى خلالها الغدران فى الجنوب المشرق حيث كان الإغريق يعيشون ، عندئذ سوف تدرك لِمَ تبهرنا قصة من هذه القصص بسموّها ووعورتها ، وأخرى برشاقتها وفخامتها .

« القرآن » لكليمان هوار

القـــرآن (*)

نزل القرآن قطعا متفرقة ، ولا تعطينا الحالة التى وَصَلَنا عليها إلا فكرةً باهتة عن الطريقة التى تم بها تأليفه (١) ، فإن السور قد رُتِّبَتْ ، منذ المراجعة النهائيـة علـى عهد الخليفة أبى بكر ، حسب الطول (ما خلا السورة الأولى) ، وهى طريقة مصطنعة تماما(٢) .

ويقـول القـرآن إن محـمـدا كان يتلقى الوحى من الروح القدس الذى كان يعُدّه مَلَكا والذى سماه ، فى وقت لاحق فى السور التى نزلت بالمدينة ، باسم جبريل كبير الملائكة ، وكان ينطقه « جبْرِيل : Djabrîl »(٣) . وفى أثناء الذهول المصاحب

(*) كل التعليقات التى فى هذا الفصل هى من صنع المترجم .

(١) لا أدرى كيف يسوغ لهذا المستشرق أن يزعم مثل هذا الزعم الذى تكذّبه الوقائع التاريخية التى حملتها لنا الروايات الموثقة ، إذ المعروف أن الرسول عليه الصلاة والسلام ، عقب كل وحى ، كان يأمر كَتَبَة الوحى بأن يضعوه فى هذا المكان أو ذاك من السورة الفلانية أو غيرها . وهو نفسه سوف يقول ذلك بعد قليل .

(٢) يولى المستشرقون ترتيب السور اهتماما جدّ مبالغ فيه . وسواء أكان ترتيب السور توقيفيا كما يعتقد بعض العلماء المسلمين أم لا كما يعتقد بعض منهم آخرون ، فإن أساس « الطول والقصر » الذى يزعمون أن السور قد رتبت عليه غير متحقق دائما.

(٣) حتى اسم « جبريل » لا يستطيع هذا المستشرق أن ينطقه نطقا صحيحا. وهناك أمثلة جد كثيرة على هذا العجز عند المستشرقين ، الذين بلغ =

للوحى[٤] كان يعتقد أنه يرى وجه رئيس الملائكة هذا . وعندما كان يُسأل عن شكله كان يذكر اسم شاب من قبيلة كلب يُدْعَى دحية بن خليفة . لقد كان الوحى ينزل دائما قطعا صغيرة : آيات متفرقة ، أو مجموعات منها . وحينما كان يُقْلِع الوحى كان محمد يدعو واحدا من كُتّابه ، ولا سيما عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، فيملى عليه ما نزل ، ويأمر فتوضع الورقة فى هذا الموضع أو ذاك من المصحف[٥]. ولفظة « سورة » لفظة عبرية ،

= من جمود وجههم ، برغم هذا العجز الفاضح المخزى ، أن يهاجموا القرآن بجهل ويتهموا حتى لغته وأسلوبه بالضعف والهلهلة وعدم الجرى على القواعد النحوية . وقد رددت على عدد من هذه الاتهامات المضحكة فى الفصل الثالث من الباب الأول من كتابى « المستشرقون والقرآن » ، وهو الفصل الذى درست فيه ترجمة بلاشير الفرنسية للقرآن الكريم.

(٤) إذا كان القرآن ، وهو ما هو سموَّ مبادئ وفحولةَ صياغة ، قد كان يتلقاه النبى وهو ذاهل ، أفليس ينبغى أن يكون هذا دليلا قويا عند ذلك المستشرق ، لو كان يجرى فى تفكيره واستدلاله على أساس من المنطق السليم ، على أن القرآن لم يكن من تأليف الرسول ؟ إذ لا يعقل أن يَقْدر الإنسان الذى يستغرقه الذهول أن يؤلف أى شىء ، فضلا عن أن يكوّن هذا الشىء المؤلف هو القرآن الكريم . ذلك ، ولا نريد أن نعلق على مسألة « الذهول » هذه . وقد روت لنا الأحاديث الكريمة عملية نزول الوحى والأشكال المختلفة التى كانت تتخذها ، ويمكن الرجوع إليها فى كتب الأحاديث المختلفة . وقد خصصت لدراسة هذه المسألة فصلاً كاملاً فى كتابى « مصدر القرآن ـ دراسة لشبهات المستشرقين والمبشرين حول الوحى المحمدى » ، وهو الفصل الثالث من الباب الأول. ولعله أكبر دراسة من نوعها وأشدها تفصيلا .

(٥) الله أكبر ، الذى جعل الحق أبلج ، وأنطق به هذا المراوغ على رغم =

ومعناها « صف حجارة فى جدار »، ومن ثم « سطر من سطر الكتابة » . ومعنى « قرآن » : « قراءة » ، أما « فرقان » ، وهو اسم له آخر ، فيعنى فى العربية « التمييز » ، وفى الآرامية ، ومنها أُخِذ ، « الإعتاق والتخليص والافتداء » .

ويختلف أسلوب القرآن كثيرا حسب أدوار حياة الرسول التى كان ينزل فيها الوحى ، وسمته الرئيسية أن جميعه نثر مسجوع ، وذلك جدّ واضح فى السور الأولى حيث الآيات شديدة القصر ، على خلافه فى السور الطويلة التى نزلت فى المدينة حيث لا تميزه إلا « وقفة » الآية التى تتوافق مع الوقفات الأخرى . وفضلا عن ذلك فلا ينبغى أن نغفل عن أن ترتيب السور هو ترتيب مصطنع تماما ، إذ من المعروف كيف تم تأليفه ، فقد اعتمد المسلمون فى مبدإ الأمر على الذاكرة لحفظ نصوص الوحى التى شهدوا نزولها ، ثم كان من يكتب يقوم بنسخها ، مستخدما حروفا أثرية (٦) ، على

= أنفه ، فها هو ذا ، ولم تمر إلا أسطر قلائل ، يسهو فيشهد بما أنكره حين زعم أن الحالة التى وصلنا عليها القرآن لا تعطينا إلا فكرة باهتة عن الطريقة التى تم بها تأليفه .

(٦) الكاتب هنا يعود إلى المراوغة ثانيا ، فبعد أن سها فشهد بالحق الذى وردت به الرويات الموثقة إذا به كَرّةً أخرى يلف ويدور فيزعم أن المسلمين أول الأمر اعتمدوا على الذاكرة فى حفظ القرآن ، ثم كان من يعرف الكتابة منهم ينسخ ما ينزل من الوحى مستخدما حروفا أثرية . وهو بهذه العبارة الأخير : « حروف أثرية » يريد أن يشكك فى إمكان الطريقة الإملائية على عهد الرسول أن تؤدى الوحى كما نزل . ومقطع الحق ، كما سبق أن قلنا (فى كتابنا المستشرقون والقرآن » (دار الحقوق / ١٩٨٤م/ ١٨٥) أن العبرة بالجدّ فى الاضطلاع بالواجب =

العُسُب والجلود المدبوغة أو العظام الجافة . وحينما تُوُفِّيَ النبى ووجد المسلمون أن يوم القيامة يزداد ابتعادا (إذ كانت عقيدة المسلمين الأوائل ، مثل نظرائهم من النصارى ، هى أن الحياة الدنيا قد تمت، وأن يوم البعث قد اقترب)(٧) ، وكذلك حينما

= وأدائه بإخلاص . فإذا أضفنا إلى هذا جميعه أن المسلمين كانوا يؤمنون إيمانا جازما لا يعتريه الشك من بين يديه ولا من خلفه بأن كل حرف من القرآن مقدس تمام التقديس فهمنا كيف استطاعوا أن يحافظوا عليه كما هو . وها نحن أولاء فى القرن العشرين ، وبعد هذا التقدم الرهيب فى عملية الكتابة والطبع والنشر ، تمتلئ كتبنا بالأخطاء المطبعية ، ويعجز كثير من مثقفينا ، حتى المتخصصين منهم فى الأدب العربى ولغته ، عن نطق لغتهم القومية نطقا سليما . فليست العبرة إذن أن تكون الحروف التى كُتب بها القرآن حروفا « أثرية » (على حد تعبير هذا المستشرق الخبيث) أو حروفا « عصرية » .

(٧) إن الحوادث والأقوال التى عقبت وفاة الرسول ، وكلها مسجل تسجيلا مفصلا ، لم يَرِدْ فيها قط ما يدل على أن المسلمين كانوا يعتقدون مثل هذا الاعتقاد . وكيف كان يمكن أن يعتقدوه والقرآن مثلا يبشرهم بأن دينهم سينتصر على الدين كله ، والرسول قد تنبأ لهم بملك كسرى ، ووصاهم بقبط مصر خيرا ، وهو ما يفيد أنهم سيفتحون البلاد وينشرون دينهم ، كما تنبأ بوقوع فتن كقطع الليل المظلم وأنهم سيأتى عليهم زمان تتداعى فيه الأمم عليهم ، لا من قلة ، ولكن لأنهم غثاء كغثاء السيل ؟ إن هذا كله يحتاج إلى الأزمنة المتطاولة . لعل المستشرق يشير إلى قوله تعالى : « اقتربت الساعة وانشق القمر » . فإذا كان هذا الظن صحيحا فإن المسلمين الأوائل والأواخر أيضا أوسع منه أفقا ، لأنهم =

كثرت الحروب الأهلية والحملات المرسلة إلى الحدود واختطف الموت عددا من الذين كانوا يحفظون القرآن كله أو بعضه عن ظهر قلب ، خافوا أن يضيع كلام الله تماما ، ومن ثم قاموا بجمع كل هذه الشذرات المتفرقة . لقد كلف الخليفةُ الأول أبو بكر زيدَ بن ثابت، حواريَّ الرسول ، بأن يجمع كل ما يستطيع جمعه من النص المقدس(٨) وأن يجعلـه في مجلد واحد ، فرتِّبت السور حينئذ، بغض النظر عن ترتيبها التاريخي ، حسب أطوالها : الطُّولى

= لم يفهموا الآية إلا على أن النبوة قد خُتم بابها ، وأنه لن يأتي رسول بعد النبي محمد إلى يوم القيامة ، وهو ما يوضحه الرسول في حديث له بقوله : « بُعثت أنا والساعة كهاتين » مشيرا بسبابته ووسطاه . ثم إن لفظة « القيامة » في بعض الآيات تبدو وكأنما المقصود بها هو انقلاب الأوضاع السائدة في الجاهلية وانكسار الكفر والطغيان الذى كان شديد الثقة بنفسه وعنيف العنجهية على غير أساس ، فكانت غزوة بدر هي أول ما بدأ من أحداث « القيامة » بهذا المعنى .

(٨) انظر إلى هذه الوخزة المسمومة ! فالمسألة ، كما يريد منا هذا المستشرق أن نفهم ، هي أنه كان على اللجنة التي شُكِّلت لا أن تجمع القرآن كله بل أن تجمع ما يستطاع جمعه . أي أن المصحف الذى بين أيدينا الآن لا يضم كل ما نزل من وحي بل كل ما استطاع زيد ورفاقه، رضي الله عنهم جميعا ، أن يضعوا أيديهم عليه فقط ، وهو ما تناقضه تماما الروايات الواردة في هذا الموضوع . وواضح أن هذا المستشرق لا يحترم الأمانة العلمية التي تحتم عليه الالتزام بالروايات الصحيحة بل يخترع من عنده الأخبار ويلفق التهم !

أولاً تسبقها الفاتحة ، وهى سورة قصيرة من سبع آيات هى فاتحة الكتاب ، ثم الأقصر فالأقصر من السور ، وهذه هى أقدم السور لأنها نزلت فى مكة ، بينما السور التى يبتدئ بها الكتاب تنتمى فى معظمها إلى الفترة التى كان فيها محمد ، بعد أن أصبح قائد جيش ودولة ، يسيطر فى المدينة على القوات التى كان واجبها أن تبسط سلطانه سريعا على العاصمة الدينية للإسلام . ويمكن اعتبار جمع زيد هذا نهائيا لأن المراجعة الثانية التى تمت بعد عشرين عاما لم تمسّ إلا بعض التفاصيل اللغوية والنحوية[٩] لا الترتيب العام للنص .

وليس أسلوب القرآن واحدا ولا يمكن أن يكون . إن التعبير عن الفكرة ساميٌ صِرْف ، وهذا التعبير وثيق الصلة بهذه السلسلة التاريخية الطويلة من الوثائق النابعة من أصل عبرى منذ آيات التوراة الموغلة فى القدم حتى الإنجيل مرورا بالوحى النبوى الذى كان بيت المقدس مركزا له . فالعبارات مقطّعة إلى آيات شديدة القصر

(٩) لا ينبغى أن تهولنا هذه العبارة الغامضة ، التى أرجح أن هذا المستشرق قد قصد ما فيها من غموض قصدا كى تعنى أكثر مما ينبغى بغية إثارة الشكوك فى النص القرآنى . ذلك أن أن الجمع الثانى للقرآن قد أريد به وضع حد للخلافات الناجمة عن السماح للمسلمين فى بداية عهدهم بالوحى أن يقرأوه بـ « أحرف سبعة » لصعوبة حملهم آنذاك على لهجة واحدة .

فى البداية ثم جدّ طويلة بعد ذلك ، وطابع النثر المسجوع يتضح فى الفواصل التى تنتهى بها كل آية . وتنقسم السور إلى قسمين رئيسيين اعتمادا على ما إذا كان نزولها فى مكة أو فى المدينة : فالأولى تنتمى إلى ما قبل الهجرة ، والثانية إلى ما بعدها .

كان النَّفَس فى البداية قصيرا ، فالوحى عنيف ، والقَسَم بالغ التأثير ، والله هو المتكلم ، والإنسان غير ظاهر ، ويبدو محمد فى صورة نبى ، إذ لم يكن قد أصبح رجل دولة أو مشرعا يبنى مجتمعا جديدا ، ولم يكن هدفه أن يقدم لقومه مجموعة قوانين بل أن يعرض عليهم عقيدة التوحيد . ولا يصادفنا هنا كلام عن الشعائر أو ذكر للتشريعات الاجتماعية . لقد كان محمد يدعو سامعيه إلى الإيمان بناء على ما يشاهدونه من آيات الكون ، يلفتهم إلى عجائب الطبيعة من نجوم وشمس وقمر : ﴿ إن فى ذلك لآيات لقوم يفقهون ﴾ ، أو يقص عليهم المصائب التى حلت على الأمم الخالية لتكذيبها المرسلين . وهذه الأساطير خليط من حكايات تلمودية وروايات قديمة تتعلق بأقوام عاد وثمود البائدة . وسياق العبارات فى أقدم السور المكية موزون ، إلا أن الوزن غير منتظم . ولا تقابلنا الصيغ النثرية إلا نادرا وعلى نطاق ضيق . ويتكدس التعبير عن الفكرة بعضه على بعض ، وهو فى معظم

الوقت جدّ غامض ومُبْتَسَر ، إلا أن الخطاب مترفـع ومتقـد . ويشعر القارئ أن النبىّ يحاول بكل طاقته أن يقنـع الكفار بحقيقة رسالته . ويلوح عنف الأسلوب حتى من خلال النقاب الشاحب الذى يغشاه عند ترجمته إلى لغاتنا التحليلية[١٠] . إنه ، حسب الملاحظة الدقيقة لستانلى لين پول ، أسلوب شاعرٍ وخطيبٍ فى آن. وهو يعتمد فى دعوته إلى عمل الخير والخوف من الله على التذكير بيوم الحساب، كما يبعث الأمل فى نفوس المؤمنين من خلال عرض طيبات الفردوس براقة أمام أعينهم : ﴿ إذا السماء انفطرت * وإذا الكواكب انتثرت * وإذا البحار فُجِّرتْ * وإذا القبور

(١٠) لا ندرى ما المقصود بـ « لغاتنا التحليلية » هذه . إن الأسلوب فى أى لغة يختلف باختلاف الأديب الذى يؤلف ، والغرض الذى يؤلف من أجله ، والموقف الذى يؤلف فيه ، والناس الذين يؤلف لهم ، فهل يمكن أن تكون لغة ما تحليلية أو تركيبية (أيا ما يكن معنى هذين المصطلحين) فى كل الظروف ؟ أليس يلمح القارئ العنجهية الأوربية من خلال عبارة هذا المستشرق الذى يحاول أن يوهمنا أن اللغات الأوربية تعكس وضوح العقل ودقة الفكرة ، بينما اللغة العربية تتسم بالغموض فى تعبيرها عن العواطف الجائشة والأحاسيس المختلطة ؟ وهو كلام فارغ لا يستدل إلى أساس ، فاللغة العربية أقدم من اللغات الأوربية ، وقد مرت بأدوار من التطور بلغت من خلالها إلى مستوى لم تبلغه هذه اللغات . وقد شهد بذلك عدد من المستشرقين الذين يحترمون أنفسهم ويحترمون عقول قارئيهم .

بُعْثِرَتْ * علمت نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ وأَخَّرَتْ * ... * وإن عليكم لحافظين * كراما كاتبين * يعلمون ما تفعلـون * إن الأبرار لفى نعيم * وإن الفُجّار لفى جحيم ﴾ . كذلك فهو يلعن أعداءه لعنا فظيعا . إلا أنه لا ينبغى أن ننسى أن المتحدث ، على مدى القرآن كله ، إنما هو الله ، وأن النبى ليس إلا واسطة للوحى . إن مشاعر العربى البدوى المتوحشة تبدو بوضوح(١١) دونما أية مواربة لإخفاء بربريتها (١٢) ، ودعاؤه على عمه أبى لهب مشهور : ﴿ تَبَّتْ يدا أبى

---

(١١) يلاحظ القارئ أن هؤلاء المستشرقين ، حيـن يلتزمون الحقائق التاريخية ، يسوقون الشواهد على ما يقولون ، أما حين يكذبون ويلفقون ويعممون ويشككون فإنهم يلقون بالحكم إلقاء مـن غير دليل ولا شاهد يعضده. وهو ما يفعله هذا المستشرق هنا ، فإنه قبل أسطر قد ساق ، لتوضيح كلامه عن دعوة الإسلام إلى عمل الخير ، الآيات التى تحض على ذلك، أما زعمه الآن بأن مشاعر العربى البدوى المتوحشـة تبـدو فـى القرآن بوضوح فهو يلقيه ويمر « مرور (غير) الكرام » من غير أوهى دليل .

(١٢) العبرة ليست بتلفيق الاتهامات الكاذبة ، وإلا فإننى أستطيع بطريقة هذا المستشرق أن أشككه هو نفسه فى نسبه مثلا ، وعليه هو مؤنة التفنيد. كنا نحب لو أن الكاتب ، بَدَلَ هذه الأحكام المضحكة ، أن يسوق لنا ولو شاهدا واحدا عليها . ولا أظن القارئ يحسب سورة « المسد » هى هذا الشاهد المطلوب ، وإلا فهل حين يرد مظلوم على من توعده بالهلاك وآذاه بأنه هو الهالك لا سواه ، وهو ما تحقق فعلا ، تكون هذه منه بربرية ؟

لهب وتَبّ ﴾ . وفى قِسْم آخر من السور المكية يوشك القَسَم بـ : ﴿ الشمس وضحاها * والقمر إذا تلاها * والسماء وما بناها ﴾(١٣) أن يختفى مع استبدال الصيغة التالية به : « والقرآن » . ويبدأ الخطاب بإعلان أنه « تنزيل من الله » . وكيلا يكون ثمة ريب فى مصدر الكلام الذى ينطق به الرسول ، فإنه يبدأ كلامه بفعل الأمر « قل »(١٤) . والحجة الرئيسية على صدق رسالته هى قصص الأنبياء العبرانيين الأقدمين المستقاه من الهاجاداه اليهودية والمتلقاة شفويا من اليهود الذين كان يخالطهم . لا غَرْوَ إذن أن تكون هذه القصص ، وقد استُقِيَت بطريق غير مباشر ، مغلوطة

(١٣) هكذا فى الأصل ، من غير أن يفصل شىء بين هاتين الآيتين الأخيرتين اللتين لا تتواليان بل يفصل بينهما آيتان أخريان ، وهو خطأ طبعا .

(١٤) ليس الأمر مجرد إيراد « قل » فى أول الوحى ، فنسبة النصوص التى يستهلها هذا الفعل إلى النصوص الأخرى التى لا تبدأ به هى نسبة جد ضئيلة . إنما الأمر أمر الروح الإلهي السارى فى القرآن جميعه من مبتدئه إلى منتهاه ، والذى أحس به وأطنب القول فيه الكاتب الإنجليزى الأشهر توماس كارلايل برغم أنه ، فيما نرجّح ، لم يرجع إلى القرآن فى نصه العربي بل فى ترجمة له . وهو كذلك أمر الدلائل العقلية التى يحشدها القرآن حشدا لإقناع الناس بصدق الدعوة المحمدية المكرمة ، ثم هو أيضا أمر الأمانة والصدق والاستقامة وغيرها من الصفات النبيلة التى اشتهر بها سيد البشر ولم يستطيع أى كافر جحود أن يكابر فيها طرفة عين ، وهو ما فصلنا القول فيه تفصيلا فى كتابنا « مصدر القرآن ـ دراسة لشبهات المستشرقين والمبشرين حول الوحى المحمدى » .

وخرافية[١٥] .

ومرحلة ثالثة هى مرحلة الجدل ، وتتميز بأسلوبها النثرى . والخاصيــة الوحيدة الطارئة هى الرد الذى كان يجيب به انبى على « الجيل الشرّير الفاسق » الذين بلغ من تبجحهم أن سألوه معجزة تصديقا لرسالته فكان رده أن المعجزات متوفرة فى كل مكان : «علام تطلبون معجزة ، والطبيعة كلها معجزات؟ ما أنا الا نذير» . وأخيــرا ينبغــى أن نُفْرِد بالإشــارة الآيــاتِ التــى تسمــى اللــه بــ« الرحمن » ، وهو ذاته اسم إله النصارى فى النقوش الحميرية .

ويضم الجزء الثانى أربعا وعشرين سورة نزلت أثناء أعوام المدينة

(١٥) كيف يسوغ لهذا المستشرق أن يُخْضِع القرآنَ للكتاب المقدس ، وهو المملوء بالخرافات والأضاليل التى لا تدخل رأس أى عجوز بدوية جاهلة ؟ وهذه الخرافات لم يسلم منها حتى ولا الأنبياء الذين يصورهم العهد القديم دُعَارا فسّاقا سِكّيرين لا يستحـون ، وكاذبين غشاشين وزناة ظالمين ، ولا الله سبحانه نفســه ، الذى يظهر فى الصفحات الأولى من هذا الكتاب وهو يلعب « الاستغماءة » مع آدم ، إذ يختبئ هذا خلف بعض الأشجار فــى الجنة فينادى الله عليــه : « أين أنت يا آدم ؟ » ، والذى يدخل فى مصارعة مع يعقوب عليه السلام فيخرج منها مهزوما ، أستغفر الله ! أما العهد الجديد فإن الاختلاف بين رواياته الأربع المعتمدة وكذلك مخالفتها للحقائق التاريخية الموثوقة أشهر من أن يحتاج إلى أى تعليق .

العشرة بعد الهجرة ، وفيها تهدأ الحماسة ، ويتحول الداعية إلى مشرّع ورجل دولة . إن عمله الآن هو التعليم والشرح لا الإخضاع والإقناع ، فقد تمت صياغة عقلية أتباعه ، كما أن تزايد عدد هؤلاء الأتباع قد بيّن لأعدائه الجاحدين أن لديه قوة نامية سيكون عليهم أن يحسبوا حسابها . كذلك تختفى من الأسلوب شاعريته فلا يعود إلا نثرا مطولا قائما على التكرار المقصود به إدخال بعض الأفكار البسيطة فى أعصى العقول . أما العبارات التى كانت تبتدىء فى مكة بـ « يا أيها الناس » فقد أصبحت تُستفتَح بـ « يا أيها الذين آمنوا » ، وعند مخاطبة الأعداء بـ « يا أيها اليهود » أو « يا أيها المنافقون »[١٦] . كما أصبح الأسلوب بعامة بطيئا مسهبا ، والآيات شديدة الطول ، والسور مؤلفة من شظايا أحاديث وعبارات متفككة . ومع ذلك تقابلنا أحيانا فقرات ذات جمال وسمو فى الفكرة والتعبير بديعين حقا . وتكاد مبادئ التشريع الدينى والمدنى والجزائى للمجتمع الجديد أن تنحصر فى ثلاث من أطول السور هى الثانية والرابعة والخامسة[١٧] ، وهن وحدهن يشكلن ما يقرب من عُشْر القرآن جميعه .

---

(١٦) هل لمثل هذه النداءات وجود فى القرآن الكريم ؟

(١٧) وأين ذهبت « الأنعام والأنفال والتوبة والإسراء ومحمد والحجرات والفتح » ... إلخ ؟

ومما لا ريب فيه أن النص القرآن لم يُجْمَع على عهد الرسول[١٨] ، وإنما أربعة فحسب من الصحابة هم أبى بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد الأنصارى كان عندهم نسخ منه شبه كاملة . وقد أدت الحرب ضد مسيلمة الكذاب إلى وفاة عدد ممن كانوا يحفظون القرآن فى صدورهم ، فأمر أبو بكر تحت إلحاح عمر ، الذى كان يشهد اختفاء هؤلاء الشهود المهمين من أمام ناظريه ، بتجميع ما يمكن جمعه[١٩] من النصوص المكتوبة ، وناط هذه المهمة بزيد أحد كتبة الرسول . ولم يكن عمر[٢٠] ، الذى كانت له السلطة العليا فى هذا الجمع ، يقبل إلا النصوص المكتوبة التى يظاهرها شاهدان يؤكدان صحتها . أى أن كثيرا من نصوص الوحى التى قد تكون صحيحة ربما رُفِضَتْ[٢١] ، وهو ما

(١٨) مرة أخرى ها هو ذا مستشرقنا المداور ، بعد أن أنطقه الله رغم أنفه بالحق المبين ، يعود فينكر ذلك .

(١٩) انظر التعليق رقم ٨ من هذا الفصل .

(٢٠) انظر الخلط حتى فى أشد الحقائق التاريخية وضوحا . أكان عمر أحد أعضاء اللجنة التى اضطلعت بجمع القرآن ؟

(٢١) لعن الله الكبر والعناد ، فإنهما أسّ كـل بلاء ! إن هذا المستشرق ، الذى لا يستبعد هنا أن بعض نصوص الوحى ربما تكون قد رفضت ،=

جعل الشيعة[٢٢] بعد ذلك يدعون أن المصحف السنى ناقص ، وأن أهل السنة أسقطوا كل ما له صلة بالمهمة الربانية لعلى وآل بيته . ولم يكن فى هذا الجمع شىء رسمى ، ودليل ذلك أنه قد أصبح بعد موت عمر ملْكا [٢٣] لابنته حفصة .

وأثناء حروب أرمينيا وأذربيجان اختلف الجند القادمون من العراق وأولئك القادمون من الشام حول الطريقة الصحيحة لقراءة القرآن ، فرفع قائدهم حذيفة الأمر إلى الخليفة عثمان ، الذ كلف زيد بن ثابت وبعض القرشيين الآخرين بتحرير نسخة نهائية . وقد

= هو نفسه الذى ادعى من قبل أن عمل هذه اللجنة كان جمع كـ . يستطيعون جمعه من هذه النصوص ذاتها . أليس هذا هو التنا... بعينه ؟ ولكن ما الذى يهم هذا المستشرق مادام قصده هنا وهـ... تجاهل الحقائق التاريخية وإثارة البلبلة والاضطراب ؟

(٢٢) هذا خطأ ، بل فريق منهم فقط ، وهذا الفريق القليل ليس عـ... سائر المسلمين شيعتهم وسنتهم وخوارجهم ومعتزلتهم ومتصوفتهم. هذا ، وقد درست السورة التى يدّعى هذا الفريق الشيعىّ الغالى ... حذفت من القرآن دراسة أسلوبية تحليلية فتبين لى أنها لا تمت ... القرآن بأية صلة ولا فى جملة واحدة منها (انظر كتابى « سورة النورين التى يزعم فريق من الشيعة أنها من القرآن الكريم » / مكتبة زهراء الشرق / ١٩٩٨م) . وبهذه الدراسة تم إغلاق هذا الباب التشكيكى إلى الأبد .

(٢٣) ملكا لها أم وديعة عندها بوصفها إحدى أمهات المؤمنين ؟

جمعت هذه اللجنة كل المصاحف الموجودة جاعلةً مصحف أبى بكر المودَع عند حفصة هو الأساس . وحين الفراغ من العمل أمر عثمانُ بالقضاء على المصاحف الأخرى ما خلا مصحف أبى بكر، الذى لم يتأخر مروان حاكمُ المدينة عن القضاء عليه أيضا . وهكذا فالنسخ الموجودة فى العالم الإسلامى الآن هى بلا استثناء صُوَر من مصحف عثمان(٢٤) .

(٢٤) لا أظن القارىء الكريم إلا متيقظا لهذه الوخزة المسمومة . وهو على كل حال يستطيع ، إذا أراد ، أن يرجع إلى التعليق رقم ٩ من هذا الفصل .

«تغيرات فى طابع المسألة التبشيرية فى البلاد الإسلامية»

لــجــردنر

تغيرات فى طابع المسألة التبشيرية فى البلاد الإسلامية

سيادة الرئيس ، أيها الآباء والإخوة ، ليست المسألة هى : أين نجد الشواهد على وجود الحركة العصرية الإسلامية ؟ بقدر ما هى: أين لا نجد هذه الشواهد ؟

إننا نعرف، طبعا الحركة التحديثية المؤثرة فى المناطق الإسلامية الوسطى فى تركيا ومصر وفارس والهند ، وهى كلها بلاد دخلتها الأفكار الأوربية وأدت إلى تخمّر سياسى وثقافى لكل منهما بدوره تأثيره على الدين ، لكن هذه ليست هى وحدها البلاد الإسلامية التى يحدث لها الآن تغيير بطريقة جديدة بفعل أحداث لها جذورها على نحو مباشر أو غير مباشر فى الغرب . إن إطلاق الحرية الدينية فى روسيا فى السابع عشر من أبريل سنة ١٩٠٥م قد أدى ، كما علمت من إحدى السيدات التى قامت بدراسة خاصة لهذا الموضوع ، إلى عودة خمسين ألفا إلى الإسلام ممن كانوا قد تم تحويلهم كَرْها إلى المذهب الأنجليكانى ، وتحول معهم أو تبعهم عدد غير قليل اعتنقوا الإسلام لأول مرة . ولا شك أن أحداثا مثل هذه سوف تحرك المسلمين فى روسيا الأوربية وفى مناطق الفولجا وفى أواسط آسيا الروسية ، وربما فى سيبريا نفسها ، إذ إن الأفكار مثل الكهرباء ، فهى تنتقل بسرعة ، وبخاصة إذا نقلتها معادن

الخطوط الحديدية . وعلى هذا فممّا لا ريب فيه أن خط السكة الحديدية شرْقَ بحر قزوين ، الذى سيمتد مع الوقت من تركستان الروسية إلى نظيرتها الصينية ، سوف يحمل معه الأفكار . ومن ثم فإن طرق التجارة التاريخية التى تقطع وسط قلب القارة الآسيوية إلى داخل الصين قد تصبح بعد قليل مجموعة من الأعصاب تجعل من أواسط آسيا الإسلامية كيانا أشد تماسكا من ذى قبل . أو فلننتقل إلى الصين . وإذا كان هناك بلد واحد على ظهر البسيطة يمكن القول فى ثقة إن مسلميه فى مأمن من التأثيرات القادمة من العالم الخارجى فهذا البلد هو الصين ، إذ إن مسلمى الصين هم المثال البارز على أشد أساليب الحياة الإسلامية ركوداً وبلادة ذهن . ومع ذلك فإننا نعلم أن أحد الأتراك قد أُرْسِل ليكون أول داعية مسلم إلى الصين يقيم بها ، بل نعلم أيضا ما هو أشد من ذلك لفتا للانتباه، ألا وهو تشرب ثلاثين طالبا صينيا مسلما لمعارف الغرب فى إحدى الجامعات اليابانية وطَبْعهم مجلة فصلية توزَّع على إخوانهم فى الدين فى أرجاء الصين بهذا العنوان الدال : « أفيقوا أيها المسلمون » . فإذا تحولنا إلى ماليزيا وجدنا أن أداة التأثير والتغيير هناك إنما هى السفينة التجارية ، التى عن طريقها يمكن لأعداد متزايدة من مسلمى جاوة وسومطرة وغيرها من جزر الهند الشرقية الحجُّ إلى مكة ، مع النتيجة الطبيعية لذلك من تلاحم المسلمين فى

أنحاء ماليزيا فى كيان واحد أمتن وأقدر على المقاومة . أما إذا انتقلنا إلى الجزيرة العربية نفسها فسوف نجد أن قبر النبى فى المدينة يردد اليوم صَدَى صفير قطار السكة الحديدية . ومن الجزيرة العربية على نحو غير مباشر أتت الحركة السنوسية العظيمة ، التى لا يستطيع الإنسان أن يصفها بالحركة التحديثية بل بالحركة الحديثة أو الحركة التى ظهرت مؤخرا والتى يشعر الإنسان بتأثيرها خلال السودان إلى بحيرة تشاد والقبائل الوثنية فى أقصى شمال حوض الكونغو . ومن ناحية أخرى فإن الحركة الإسلامية المنتشرة على نحو جِدٍّ مخيف فى خلال القارة الأفريقية هى فى الأساس رد فعل لما تقوم به الحكومات الأوربية من أفعال ، إذ إن إقامة حكومات مستقرة على طول الطريق من النيل إلى الزمبيزى قد أضعفت أو قضت على العزلة القبلية وفتحت مئات الطرق أمام التغلغل السلمى للإسلام . ومادام الأمر كذلك فقد نرى الإسلام قبل مرور وقت طويل وقد اتخذ موقف مبعوث العناية الإلهية لتوحيد الجنس الأفريقى والدفاع عنه مستوليًا بذلك على معظم الحصاد الذى بَذَرَتْ بذوره أثيوبيا اليوم .

إن هذا المسح الأولى السريع يؤكد لنا أن المشكلة الإسلامية ، حتى بوصفها حركة حديثة ، تمتد فى الواقع بامتداد العالم

الإسلامى كله . ومع ذلك ألا يمكننى فى هذا المؤتمر العظيم أن أضيف ملاحظة أخرى أولية ؟ إن هذه المشكلة الإسلامية هى مشكلة لا يمكن ببساطة التغاضى عنها حتى ولا فى وجه الظروف الشديدة الإلحاح التى تواجهنا فى الشرق الأقصى . وهذا ، أولا ، لأن الإسلام يقف على أبوابنا ، إذ إنه يواجه أوربا عند أقصى الساحل الأفريقى الشمالى ملامسا لها فى الواقع عند كل من طرفى البحر المتوسط : عند أعمدة هرقل من ناحية ، وعند القسطنطينية من ناحية أخرى . وثانيا ، لأنه مشكلة مركزية أيضا . فكروا فى هذه الكتلة الإسلامية المركزية الضخمة الصلبة التى تمتد من شمال أفريقيا إلى غرب ووسط آسيا . إنها ، كالإسفين الراسخ فى مكانه ، تفصل بين الغرب النصرانى والشرق الوثنى . وإننى أرجوكم أن تتبينوا ، أيها الآباء والإخوة ، أنه حتى لو حُلَّت مشاكلنا فى اليابان وكوريا ومنشوريا والصين والهند ، وتم التغلب والحمد لله على الأزمات الحالية لهذه البلاد ودخل الشرق الأقصى فى حظيرة الكنيسة الكاثوليكية ، فإن هذا الإسفين المركزى الضخم غير المتعاطف معنا والغريب عنا والمعادى لنا سوف يشق العالم النصرانى حينئذ إلى نصفين لا سبيل إلى التقائهما عازلا بينهما وكاشفا للربّ والعبد ، لا عن شقٍّ فحسب ، بل عن

صدع فى بناء الكنيسة الكاثوليكية ، وكذلك فى بناء الإنسانية التى لولا الإسلام لدخلت كلها النصرانية أفواجا . إذن فالمشكلة الإسلامية هي ، فى الحقيقة ، لا تحتمل التأجيل . إنها مشكلة الساعة كما رأينا ، ومن ثم فلتكن هذه الساعة هى ساعة الحل والخلاص .

إن مهمتى والفَضْلَ الذى أُولِيتُه فى هذا المساء إذن هو أن أحاول أن أبين لكم ، يا رجال الكنيسة العاملين فى كل أرجاء المعمورة ، الموقفَ كما هو فى الوقت الحالى بالنسبة للحركات الإسلامية الحديثة أو التحديثية ، إذ إن غرضنا هو أن نتخذ معا الإجراءات اللازمة واضعين فى الحسبان أن نستفيد إلى أقصى حد من الموارد التى تحت أيدينا والتى علينا أن نجابه بها الموقف الذى شرحته لكم . وهذه الجملة الأخيرة تذكرنا بأن « الموارد التى تحت أيدينا » هى عبارة تقبل تفسيرين ، وبأننا ينبغى فى مداولاتنا هذا المساء أن نضع هذين التفسيرين معا فى أذهاننا . وعلى التفسير الضيق لهذه العبارة فإن تلك الموارد غير كافية على الإطلاق لمواجهة الموقف حاليا رغم أنه يمكن دون شكٍّ التصرفُ فيها تصرفا أحكم ، وتوزيعها توزيعا أحسن تدبيرا ، واستخدامها استخداما أصح وأنفع . ولكن تحت أيدينا أيضا موارد الإله الحى . وهذه الفكرة سوف

تجعلنا دائما أثناء هذه الجلسة على ذُكْرٍ من العبرة الأساسية لهذا المؤتمر ، وهى أن وعيا جديدا بفكرة الإله الحى هو وحده الذى من شأنه أن يتيح لنا إنجاز مهمتنا الخارقة بل والاستمرار فيها .

ليس هناك وقت للحديث إلا عن النقاط التى تتركز فيها الأزمات الحالية بالذات . أيها الآباء والأخوة ، ليكن شعارنا « Ver- bum Sapientibus : كل لبيب بالإشارة يفهم » . ولا بد لى فى هذه القاعة وفى تناولى لهذا الموضوع أن أؤكد كل كلمة من هذه الكلمات الأربع .

فإذا بدأنا إذن بالإمبراطورية العثمانية فسوف نجد أن هناك حركة يمكن القول بوجه عام بأنها حركة نحو الحرية : سياسية أولا ، ثم فكرية بعد ذلك . إن مثل هذه الحركة المزدوجة بطبيعتها تلك لا بد أن تؤثر على الدين فى نهاية المطاف . صحيح أن ذلك سيأخذ وقتا ، لكنه أمر مؤكد . وربما كان الموقف الداخلى للأتراك الشبان أنفسهم من التسامح الدينى موقفا متقدما . وإن كون النصرانية والنصارى قد شاركوا إلى هذا الحد البعيد فى حركتهم لا بد أن تكون له نتائجه الهامة البعيدة المدى . وقد أحرزت حرية الصحافة بالفعل فى أجزاء كثيرة من الإمبراطورية التركية ، وبخاصة فى الشام ، مكاسب عظيمة جدا . كذلك فإن بعض زعماء الفكر

الإسلامى قد أصبحوا يعيدون النظر فى النسيج المعقد للفكر الإسلامى كله بوصفه نتاجا تاريخيا تطور وتعقد مع الزمن ، ويرجعون مباشرة إلى القرآن الذى يجد فيه بعضهم من النصرانية على قدر ما يستطيع . أليست هذه الحقائق هى دعوة للجمعيات العاملة فى الإمبراطورية العثمانية إلى اليقظة والتأهب ومضاعفة الجهد كى تكون على استعداد للإفادة من هذا الوضع الذى يكبر يوما بعد يوم ؟ ألا يمكن أن يكون قد اقترب اليوم الذى نجنى فيه ثمار القدرة العجيبة على التحمل التى أبداها الشهداء الأرمن ؟ إن هذا اليوم لابد آت لا ريب فيه مثلما أنه لا ريب فى وجود إله عادل فى السماء .

إن الخطوات التالية تبدو من ثم ضرورية : وهى ، أولا ، تقوية العمل الذى نجح فعلا نجاحا رائعا ، والذى تم من أجل وبين الكنائس الشرقية المختلفة فى الإمبراطورية العثمانية ، إنجيلية كانت أو غير إنجيلية . وثانيا ، احتلال المناطق غير المحتلة ، وذلك من خلال الجمعيات المجاورة لها . وهذه المناطق مذكورة فى تقرير اللجنة رقم ١٠ . وثالثا ، إقامة الكلمة المكتوبة على أساس أمتن وأصلب (وسوف أعود إلى هذه النقطة بعد لحظة) . ورابعا ، القيام بضغط حكيم متصل وجرىء على الحكومة لجعل المساواة والحرية الدينيتين حقيقة واقعة فى أرجاء الإمبراطورية . وخامسا ، إحراز

تقدم حكيم وجرىء فى مجال العمل المباشر من أجل المسلمين . وقد سمعت فى أحد المؤتمرات غير الرسمية الذى عُقد بأُخَرَة فى بيروت ، وكان لى شرف حضوره ، عِدّة شهود متتابعين يطيلون القول فى المدى الذى يبلغه الآن مثل هذا العمل المباشر والمدى الأبعد الذى يرى الجميع أنه يمكن أن يبلغه . وفى نهاية اليوم عبَّر ذلك المؤتمر غير الرسمى عن رأيه ، مع وضع هذا المؤتمر الأدنبرى بالذات نصب العين ، كالآتى :

١ ـ أن العمل الذى تقوم به الكنيسة الإنجيلية بين المسلمين، والذى يتم فى هدوء منذ عدة عقود فى الشام وفلسطين ، أسهل اليوم منه فى أى وقت مضى ، سواء اتخذ شكل زيارات أو محادثات أو تأليف كتب فى النصرانية والقيام بتوزيعها أو توزيع للكتاب المقدس أو إرسال بعثات طبية أو افتتاح مدارس للأولاد والبنات .

٢ ـ أن إصدار الدستور قد جعل هذا العمل المباشر الذى تقوم به الكنيسة الإنجيلية أسهل فى الأوساط المستنيرة . وأنا على يقين أنه سوف يزداد سهولة مع الأيام عندما يتم فهم المبدإ الدستورى الخاص بالحرية الدينية فهما أفضل . ومن ناحية أخرى فنحن نواجه بعثا إسلاميا تربويا ودينيا يجعل هذا التقدم فى ميدان الإرساليات ضروريا إذا أردنا المحافظة على المكانة التى تم بلوغها فى الماضى

وتقويتها .

٣ ـ ولهذه الأسباب فمن المؤكد أنه قد حان الوقت لإحراز تقدم فى مجال العمل بين المسلمين فى الشام وفلسطين يُخَطَّط له تخطيطا سليما وينفَّذ فى حماسة شديدة ، وكذلك لتوجيه انتباه جميع الجمعيات التى تعمل الآن فى هذا المجال مباشرة نحو إحراز هذا التقدم . أيها الآباء والاخوة ، إن الإشارة لكم تكفى !

وإذا انتقلنا إلى مصر ، حيث يَجْعَلُ القَدْرُ الأكبر من الحرية المدنية إمكاناتِ العمل الإسلامى المباشر غير محدودة تقريبا ، نجد أن القاهرة لا تزال إلى يومنا هذا هى المركز الفكرى للإسلام . وقد كانت هكذا على الدوام منذ انهيار بغداد عاصمة العباسيين . وعلى هذا فلابد لنا هنا من التأكيد على أن ثمة طريقا آخر للتقدم مُلحًا أشد الإلحاح ، على الكنيسة النصرانية أن تنتهجه دون أدنى تأخير . أعنى التقدم فى كَمّ وكَيْفِ المعرفة التى يتمتع بها أولئك الذين يعملون بين ظَهْرَانَيِ المسلمين فى أرجاء العالم المختلفة ، وبخاصة فى تلك البلاد التى تجرى فيها عملية التنوير . وهناك خطان رئيسيان ينبغى أن تسير فيهما هذه الدراسة الموسعة ، والمكان الأمثل لهما هو القاهرة : فأما الأول فهو علمُ الكلامِ والفلسفةُ التقليديان اللذان تمثلهما جامعة الأزهر . وأما الثانى فهو الحركة

التحديثية التي تؤثر تقريبا فى كل شاب مسلم تلقّى تعليمه على النمط الغربى ، والتى هى ، كما قلت ، عبارة عن محاولة الوصول إلى سر التطور التاريخى الفعلى للإسلام ، والتفكير فى وضع سياسة جديدة وعلم كلام جديد وفلسفة جديدة ومجتمع جديد على أساس من القرآن وحده بغير أى شىء من السنة .

وهذه الحركة الناشطة بقوة فى الهند لها أيضًا قدم راسخة فى القاهرة حيث كان الشيخ محمد عبده يلقى دروسه ويجمع حوله التلاميذ والحواريين . وأحد هؤلاء الحواريين ، وهو صاحب المجلة القاهرية المسماة بـ « المنار » ، هو ذلك الرجل المشغول فى هذه اللحظة بتأسيس كلية تركية للوعظ والإرشاد فى إستانبول سوف يقوم خريجوها بنشر مبادئ هذا الإسلام الجديد ، وبخاصة فى الشرق الأقصى . ومن هذا يمكنكم أن تَرَوْا كيف أن هذا الإسلام الجديد يهدف إلى الانتشار واكتساب الأنصار . والآن فإن كِلاَ هذين الخطين من النشاط الثقافى يتطلب عددا من البعثات التعليمية أكبر ، وكثيرا من الدرجات أرقى مما هو موجود حاليا ، إذ برغم أن دراسة الإسلام التقليدى يُفْتَرَض فيها أنها فى طريقها إلى الاضمحلال (وهو افتراض لا يزال محتاجا إلى إثبات ، وإن كان مما لا ريب فيه أن الأزهر قد أصبح مؤسسة متآكلة وأضحى نفوذه

مجرد ظل من ظلال الماضى على وشك الانهيار) ، فإن التعليم التقليدى لا يزال هو التعليم الذى تستند إليه حياة جماهير المسلمين الضخمة فى كل أنحاء الدنيا ، وهى الجماهير التى سوف تظل قوة قصورها الذاتى بمثابة شىء هائل جبار . هذا التعليم التقليدى إذن يتطلب من يدرسونه ، وهؤلاء أنفسهم لا بد أن يضيفوا إلى برنامجهم مهمة ملاحظة ودراسة ومواجهة هذا الإسلام الجديد بجوانبه المتعددة المتعارضة تقريبا . إننى لا أدرى أين يمكن أن تتم هذه الدراسة على أكمل وجه ، اللهم إلا فى مكان ما فى العالم العربى ، وهذا المكان بلا جدال لا يمكن إلا أن يكون القاهرة . ومن ثم يبدو لكثير منا أنه لابد من تأسيس مدرسة للدراسة العربية هناك فى صمت ، مدرسة تكون فى خدمة الإرساليات التبشيرية فى كل أنحاء العالم الإسلامى. أقول هذا دون أى حكم مسبق على خطط الكليات الشرقية ومناهجها فى بلادنا، وهى خطط لها مكانها ، ولكنى أعتقد أنها لن تكون أكثر من شىء مكمل لما أنا بصدد الحديث عنه . فى القاهرة إذن يمكن لجمعياتكم إذا فكرت فى الأمر ، حتى لو لم يكن تفكيرا شديدا بل مجرد تفكير ، أن تنشئ هذه المدرسة وتنفق عليها . ولا بد أن يكون ذلك فورا ، ولا داعى للكلام فى هذا الموضوع أكثر

مــن هــذا .

وإذا تركنا القاهرة مُيَمِّمين وجوهنا شرقا فإننا نأتى إلى جزيرة مهد الإسلام . ومادامت تحاصرها الأقطار الإسلامية من كل جانب حيث يتم النشاط التحديثي وردود أفعاله ، أفلا ينبغي أن نحاصرها نحن على نحو أكثر فعالية ؟ إنني أود أن ألفت نظركم أولا إلى توصيات اللجنة رقم ١ التى ترى أنه لا بد من احتلال عشر نقاط مهمة على الساحل بِعَشْر بعثات طبية تكون بمثابة عدد كبير من مراكز الإضاءة المحيطة بالشيء من كل جانب ، وكذلك إلى المذكرة التى كتبها مؤخرا مستر جارلاند المبشر اليهودى وجاء فيها أنه لايزال ممكنا ليهود جزيرة العرب الكبرى أن يطولوا الإسلام إذا ما تذكرنا شعار « لليهود أولا » . كما أحب أن ألفت نظركم إلى النص التالى من كلام د. يانغ المقيم فى عدن :

« أعتقد أن الكنيسة الكاثوليكية ينبغى أن تَعَضّ بالنواجذ على الفرصة السانحة للدخول من الباب المفتوح للجزيرة العربية ، وأن تحاول بخاصةٍ إنشاءَ إرسالية تبشيرية كبيرة وموحدة فى مكة أو المدينة . ولربما يبدو مغرقا فى الخيال أن نحلم مجرد حلم بإنشاء إرسالية تبشيرية فى مكة أو المدينة ، ولكنْ ما لم يُبْذَل جهد فى هذا السبيل فليس بإمكان أحد أن يعرف هل ستنجح هذه الفكرة أو لا .

المهم ، لا بد أن نحاول بأى ثمن أن نبدأ العمل فى جدة (ميناء مكة) ، وإن قيام مستشفى هناك مجهز تجهيزا حسنا سوف يعلّم الحجاج معنى الحب النصرانى . وقد أخبرنى الدكتور زويمر أمس أنه يَعُدُّ جدة أكثر أهمية (والحقيقة أنها على الأقل أسهل من الناحية العملية) من مكة .

وإذا تحولنا إلى بلاد الرافدين فهل يمكننى أن أذكّر المؤتمر بالأهمية الشديدة التى ستكتسبها هذه المنطقة فى المستقبل حينما يتم مشروع سكة بغداد الحديدية ومشروع الرى الذى يقوم به سير وليم ولكوكس ؟ أليس من الأهمية بمكان أن تَشْرَع الكنيسة هناك فى القيام بعمل على نطاق مختلف تماما عما هو موجود الآن ؟

وبعد الرافدين تأتى بلاد فارس . وإن تخمُّر الأفكار هناك لا يدعونا إلى التقهقر أو السكون بل إلى المضى قُدُمًا (وهو ما يصدق على كل مكان أصبحت فيه العقول أخيرا تشعر بالحاجة إلى شىء ليس فى أيديها) . إن الزعماء البختياريين الذين قاموا بالانقلاب العسكرى الأخير وأصبحوا الحكام الفعليين لطهران كانوا قبل وصولهم إلى هذه المكانة البارزة المذهلة أصدقاءَ حميمين لإرساليات جمعية التبشير الكنسية (C. M. S.) . ألا تجعلُ هذه

الحقيقةُ وحدها دعْمَ وتقويةَ أولئك العاملين فى سبيل الإنجيل فى تلك البلاد أمرا مهما للغاية ، تلك البلاد التى لا تَخْفَى أهميتها لكونها واقعة فى قلب العالم الإسلامى السُّنّى وتقسمه إلى نصفين؟ لقد كانت هناك فرصة أكبر منذ بضع سنوات مما هى الآن ، فهل نفلتها اليوم من أيدينا تماما ؟

أما فى الهند فإننا نرى نفس الظواهر التى لاحظناها فى مصر، وهى تنادينا نفس النداء . إن هناك نفس الكتلة الضخمة من الإسلام السنى الشعبى ، وهناك أيضا حركة تحديثية أوسع مدى ، لكنها لم تُدْرَس كما ينبغى . وفضلا عن ذلك فينبغى ألا ننسى الذكاء الهائل الذى يتمتع به بضعة ملايين من المنبوذين فى البنغال أو البنجاب الذين لابد أن يجتذبهم ، قبل مرور وقت طويلٍ ، الإسلامُ أو الهندوكيةُ إذا لم تضممهم الكنيسة النصرانية إلى أحضانها. أليست هذه الحقيقة الأخيرة بمثابة دعوة للكنيسة إلى أن تشرع فورا فى هذا العمل الحيوى فتتخذ الإجراءات الوقائية المطلوبة ؟ وفى هذه الحالة فإن الوقاية خير من العلاج آلاف المرات وأسهل ، إذ إن بقية تقرير اللجنة رقم ١ تسجل ما لوحظ من أن الإرساليات بين المسلمين الهنود قد أُهْمِلت إهمالا يبعث على الأسى . ولا يكاد يوجد شخص واحد يتوفر على هذا العمل فى

جنوب الهند ، ولا أظن أن أولئك الأشخاص الذين ينبغى أن يقوموا بالنشاط العصرى والذين عليهم الآن لا أن يدرسوا الإسلام التقليدى بل الحركة والكتابات التحديثية اللتين تعد عليجرة منبعا لهما ، لا أظن أنهم يتلقون فى أى مكان بالهنـد ولا فى أى مكان آخَرَ التدريبَ المطلوب .

وبالنسبة لجزر الهند الشرقية فقد سبق أن ذكرنا النشاط الجديد الذى ترتب على التسهيلات المتزايدة فى السفر والاتصال . وإخواننا الهولنديون والألمان هناك يبذلون جهدا رائعا فى كُلٍّ من ميدان تنصير المسلمين وميدان منع غير المسلمين من الدخول فى الإسلام . وكل ما يستطيع أن يفعله هذا المؤتمر العظيم هو تشجيعهم على أن يقوموا بجهود أكبر باسم الرب ! ألا يمكننا على وجه الخصوص أن ندعو الله أن نتمكن نحن وهم من تشديد قبضتنا على بورنيو ، تلك الجزيرة الكبيرة التى لم يتم فيها إلا القليل والتى أخبرنى الأب المحترم ج . ألِنْ ، الذى يقوم بالتبشير هناك مع جمعية نشر الإنجيل (.S. P. G) ، أنها تَغَصّ بالمسلمين الماليزيين المتعصبين الشديدى التأثير ؟ إنه لعجيب ، وهذه هى الظروف ، أن الدّيَاك وغيرهم من سكان البلاد الأصليين لم يتحولوا إلى الإسلام. والظاهر أننا مدينون بنجاتهم حتى الآن من ذلك

التحول إلى شهيتهم الفائقة للحم الخنزير . بيد أن هذا ليس أمرا كافيا للاعتمادعليه ، كما أن هذا المحيط الماليزى يجعل الخطر وشيكا . ومن المناسب أن نشير هنا إلى الحاجة إلى الإسراع بتنصيرها لكيلا تصبح هى أيضا ، إذا تلكأنا ، مثل جاوة وسومطرة.

وفى الصين إلى وقت قريب لم تكد تُدْرَس مشكلة الإسلام مجرد دراسة بله أن يكون قد اتُّخِذ فيها شيء . لقد قرأنا فى التقرير الرسالةَ الهامة للشباب الصينيين المسلمين الذين يدرسون فى طوكيو: « أفيقوا أيها المسلمون ! » . أليست ترجمة هذه العبارة هى ببساطة : « أفيقوا أيها النصارى ! » ؟ إنها فى الواقع نداء مُلِحّ لنا أن ننبذ من الآن سياسة « دع كُلاً يعمل ما يريد » . إن التقرير يقترح تركيز الجهود النصرانية على بعض المراكز الإستراتيجية المعروفة وتخصيص رجال لهذا الغرض . ويضيف التقرير أن « مثل هؤلاء العاملين ينبغى أن يكونوا على علم باللغة الصينية والعربية كلتيهما » . وهذا دليل آخر على ضرورة إنشاء معهد عربى فى مدينة مثل القاهرة .

وفى الصين هناك طريق تاريخى يؤدى إلى آسيا الوسطى والتركستان وروسيا . وقد بلغنى من ثلاثة مصادر مباشرة أن هناك

أمراً ذا أهمية قُصْوى يحتاج أن نصلى من أجله ، ألا وهو إحياء الكنيسة اليونانية ومنح الحرية الكاملة للمذاهب النصرانية الأخرى . إن لدى الكنيسة اليونانية المال والرجال الذين يتمتعون بالبصيرة والحماسة ، ومع ذلك فقد علمت بوجود إرساليتين صغيرتين فقط للكنيسة اليونانية بين الثمانية عشر ألفا والتسعمائة مسلم سيبيرى فى مناطق تومسلك وأوبولسلك ، وتنصُّر ثلاثة مسلمين ليس إلا فى سيبريا فى عام ١٩٠٨م . إنها ثمرة ضئيلة ، ومع ذلك فإنها تبين لنا أن الأمر ليس مستحيلا . إننا على علم بالجهد التبشيرى العظيم الذى تقوم به الكنيسة اليونانية فى اليابان ، فلماذا إذن لا تصل كلمة الرب إلى تلك الكنيسة لتقوم بعمل مشابه حيثما وُجِد المسلمون فى الإمبراطورية الروسية ؟ ألا يمكن أن نجد بيننا فى المؤتمر العَشْرى القادم مبعوثى الكنيسة اليونانية والكنيسة الرومانية يعدّدون لنا أعمال الروح القدس العظيمة التى تمت على أيديهم بين مسلمى آسيا ؟

وأخيرا أفريقيا . ولست بحاجة إلى أن أخبركم ، أيها الآباء والإخوان ، بالأزمة التى تَحْتَوِش أفريقيا كلها تقريبا فى الصراع القائم فيها بين دِينَىْ عيسى ومحمد . إن الأمر سئ للغاية ، وهذا المؤتمر على الأقل يدرك جيدا مدى خطورته . والسببان الرئيسيان هما :

أولا : تأثير الحركة السنوسية ، التي ترسل إشعاعها من الصحراء الكبرى في الشمال الشرقي ليصل ، كما أعتقد ، إلى كل مكان يتقدم فيه الإسلام ما بين خَطَّيْ عرض ١٠ و ٥٠ شمالا .

وثانيا : تأثير التجار ، الذين يستغلون الأمن الذي يوفره الاحتلال البريطاني والفرنسي والألماني ويحملون الإسلام معهم إلى كل مكان . وهذا يصدق بوجه عام على شرق أفريقيا والأجزاء الوسطى والغربية من السودان .

فكيف نتصرف تجاه هذه الأمور ؟

فأما بالنسبة للأمر الأول فقد ذكر د. كُمْ في رحلته التي قام بها مؤخراً عبر أفريقيا وبمحاذاة الحدود الإسلامية أنه قد وجد في كل مكان قبائل على نهر شارى وعلى المجارى المائية في شمال الكونغو إلى خط ٥ في طريقها إلى اعتناق الرسلام ، كما وجد أن قوة الدفع سببها الحركة السنوسية . إن الزوايا السنوسية ، وليس الأزهر ، هي سبب انتشار الإسلام في شمال أفريقيا . والسنوسية ، رغم أنها ضد الاتجاه التحديثي تماما ، ليست حركة تقليدية مع ذلك ، ولا أحد من السنوسيين يستطيع أن يدرس في الأزهر معقل الاتجاه السنى غير المتشدد . وكل ما يساهم به الأزهر بالنسبة

للإسلام فى أواسط أفريقيا هو ما لاسمه من رنين غامض.وما يقوم به خريجوه الأفارقة العائدون إلى بلادهم بين قبائل الهاوسا وبعض المواضع الأخرى فى غرب السودان من دور محدود فى تدعيم الإسلام هناك . وكما كتب الأب ڤيرتْس فإن الضربة التى يمكن أن توجّه للحركة التوسعية فى المنطقة الوسطى لا بد أن تكون عملا يتم تنفيذه فى المراكز السنوسية بالصحراء الكبرى ، وهذا الأمر يبدو مستحيلا . ويضيف متسائلا : « وما الذى بإمكاننا أن نفعله فى هذا السبيل سوى أن ندعو وننتظر ؟ » . هـذا إذن هو ما يجب على الكنيسة أن تقوم به . ثم إن هناك خط الحدود المستمر في التقدم من نهر شارى إلى بحر العرب . ولقد عبَر مؤخراً أحد الرحالة النصارى هذا الخط . أليس فى هذا ما يحفز كنائسكم وجمعياتكم ، أيها الآباء والإخوان ، إلى التقدم بمحاذاة الطريق المشار إليه باتجاه الشرق بدءا من الكاميرون ونيچيريا، وإلى الغرب من الإرساليات التى فى أعالى النيل ؟ وقبل أن أترك هذه النقطة أحب أن أوضح أهمية التغلب على معارضة فرنسا لأى نشاط غير رومانى فى أرجاء إمبراطوريتها الإسلامية الأفريقية المترامية .

فإذا انتقلنا من وسط السودان إلى غربه فإنى أود أن أقتبس بعض ما كتبه الأب ڤيرتْس البازلى (Pastor Wirtz of Basel) ،

الذى أبدى اهتماما شديدا بهذا الموضوع . قال : « حاليًا يبدو لى أن شمال نيچيريا هو أهم نقطة ، وقد تأتى بعده البلاد الواقعة حول بحيرة تشاد سواء على الجانب البريطانى أو الألمانى . وإذا فتح الفرنسيون البلاد التى تحت أيديهم أمام دعوة الإنجيل فربما كان لمركزٍ كبير يقام إلى الغرب من ذلك نفس الأهمية » . هذا بالنسبة للأب ڤيرتس . وهنا أود لو استطعت أن أنقل لكم بحذافيرها رسالة مهمة كتبها فى يوم رأس السنة الأخير مستر ت . إ . ألڤارِزْ كاتم سر إرسالية شمال نيچيريا التابعة لجمعية التبشير الكنسية (C. M. S.) ، ولو فَعَلتُ لرأيتم كيف أن هذه الرسالة تؤكد ما قلته من أنه « حاليا يبدو أن شمال نيچيريا هو أهم نقطة » . وهو يشير إلى العمل الضخم الذى يمكن القيام به الآن هناك سواء كان عملا وقائيا أو مباشراً ، وكيف أن من المهم القيام به فى الحال نظراً للخطوات الحثيثة التى يتم بها ربط النيچر الأدنى وبلاد الهاوسا وكالابار عن طريق مد خطوط السكة الحديدية . واسمحوا لى أن أذكّركم أيضا مرة أخرى بطلب د. مِلَّرْ أربعين معلما ومبشرا لبلاد الهاوسا كى تكون قبائل الهاوسا فى طليعة من يوقفون الزحف الإسلامى . أيها الآباء والإخوان ، هأنذا أرفع مرة أخرى شعارى الذى أكرّره دائما ، وهو أن الإشارة تكفى، ولا داعى

للإسهاب والتطويل .

وأعود الآن إلى الأب ڤيرتس فنراه يقول : « لا توجد تقريبا وحدة بين الإرساليات الأفريقية . انظر إلى الساحل الغربى : مجموعة انطلاقات منفصلة فى الغرب ، وليست هناك محاولة للاتحاد فى حدود علمى . ولهذا السبب فإننى أرغب فى أن تحاول الإرساليات فى غرب أفريقيا القيام بمحاولة ناشطة للعمل بين المسلمين لأن هذا من شأنه أن يتيح لهم مهمة يتعاونون على تأديتها على الأقل . إن الإسلام يمكنه أن يربط بيننا ، فإذا تم هذا يكون الوقت قد حان لمحاولة الوصول إلى خطة مشتركة للعمل . لكننا لم نصل إلى هذه المرحلة بعد » .

أليست هذه العبارة الأخيرة هى فى الحقيقة تحديا لنا ؟ إن هذه القاعة تضم ممثلين عن الكنائس والجمعيات العاملة فى غرب أفريقيا . ألن يكون أمرا عظيماً إذا كان بين ما سيتمخض عنه هذا المؤتمر أن ما كان يبدو لذلك الكاتب أمراً بعيداً المنال قد تحقق فجأة وأصبح أمراً واقعا ؟ ها هى ذى فرصة للهيئة العالمية لتشجيع التعاون المحلى الذى نتمنى جميعا بقوة أن يتمخض عنه هذا المؤتمر .

وأخيرا شرق أفريقيا من شرق أفريقيا البريطانى جنوبا إلى الزمبيزى . إن الحاجة ماسة إلى الإسراع بتنصير القبائل التى يهددها الإسلام ، وبخاصة تلك القبائل ذات النفوذ الأقوى . والحمد الله

على وجود مثل تلك الكنائس في أوغندة وليفنجستونيا . إننا نسمع أحيانا من يقول إن مثل هذه الكنائس ستكون مثل جزُرٍ في بحر من الإسلام أو أكواخ حراس في حقل من القِثّاء ، بيد أنه لا ينبغي أن ننساق وراء مثل تلك الاستعارات المثبطة ، والأفضل أن نقول إن مثل هذه الكنائس ستكون بمثابة مراكز للحياة والحرارة والضوء تخدم وتنقذ الأمم الإسلامية من حولها ، وذلك إن قُدِّر للإسلام أن يملأ فعلا الفراغات المحيطة بها . ولكن هل سيُقَدَّر للإسلام أن يفعل ذلك ؟ « أفيقوا أيها النصارى ! » .

هذا بالنسبة للنشاط الوقائي ، أما العمل المباشر فينبغي ألا يتوقف ولو للحظة واحدة ، وذلك لأسباب خمسة راجحة ووجيهة ذكرها الأب ڤيرتس وكان بودي أن أنقلها هنا لو سمح الوقت . وهناك الكثير مما يشجع على هذا النوع من العمل . فعلى سبيل المثال بلغني من أوثق المصادر أنه « طبقا لما لاحظه زميل قديم في مجال التبشير عَمِل في موقع الأحداث لمدة أربع وثلاثين سنة فإن قوة المسلمين الفعلية في شرق أفريقيا الخاضع للاحتلال الألماني قد نقصت . لقد كان الأفراد الأقوياء في أيام الرق يمارسون سلطانهم على كل القبائل الساحلية ، إلا أن هذا السلطان قد تحطم كله تقريبا . ومعظم الفضل في ذلك يرجع إلى نفوذ الإرساليات

التبشيرية » . وقد سمعت ، فضلا عن هذا ، أن الحكومة الألمانية على وعى بالخطر الذى لا بد أن يَحْدُث لو انتصر الإسلام، وأنها ترغب فى أن تُبْقِى هذا الدين بعيداً وتشجع الإرساليات . إننى أتمنى أن يبصر رجال الإدارة البريطانيون فى نيجيريا وغيرها هذه النقطة بنفس الوضوح . سيادة الرئيس ، هل سينفض هذا المؤتمر دون أن نبعث باحتجاج رسمى للحكومة البريطانية بشأن سياستها تجاه رعاياها المسلمين فى شرق أفريقيا وغربها ؟ إن لرئيسنا من الشجاعة ما جعله يقف فى وجه الملوك وكذلك رؤساء الوزرات . فهل كثير علينا أن نطلب منه أن يتكلم بالنيابة عنا مع وزير للخارجية ؟

هل يمكننا إذن أن نلخص مطلبنا لدى الكنيسة ولدى هذا المؤتمر ، هذا المطلب الذى يستلزمه الموقف الحالىّ فى شرق أفريقيا؟ لقد وصل هذا المطلب جاهزا فى رسالة بعث بها إلىَّ الأسقف پيلْ ، أحد كبار الأساقفة المسؤولين فى تلك البلاد . وهاكم النقاط الأربع التى تناولها :ـ

١ ـ « أنه لا ينبغى أبدا أن تسوى أية حكومة نصرانية بين الديانة النصرانية وغيرها ، بل عليها أن تنظر إليها بوصفها الديانة العليا . إن عدم المحاباة مطلوب فى المحاكم والمصالح الإدارية ، بيد

أن الواجب على أية حكومة نصرانية أن تجعل الناس يشعرون أنها تفضّل للحكم والإدارة فى كل فروعها الأشخاصَ الذين تلقَّوْا التربية الروحية للديانة النصرانية وأنها ستستعين بهم قبل غيرهم متى وحيث استطاعت ذلك . وهذا ما يفعله الألمان » .

أليس هذا الكلام بمثابة حافز لهذا المؤتمر العظيم لرفع هذه المسألة بطريقة حاسمة ومحددة إلى الحكومات الثلاث التى بيدها أمور شرق أفريقيا ؟

٢ ـ « أنه لا بد من احتلال كل موقع أو مركزٍ إستراتيچى (فى الجزء المسلم من شرق أفريقيا) يمكن السيطرة عليه » .

إن هذا يستلزم فى الساحل الشرقى نفس التعاون المتصل الذى كنا ولا نزال نتوق إليه فى الغرب .

٣ ـ « أن نوفر للصغار والكبار فى بعض الأماكن المختارة تربية سليمة مع فتح أبواب التعليم المرتكز على الكتاب المقدس أمام الجميع ، ولكن بصورة غير إجبارية . وبهذه الطريقة وحدها يمكن أن يكون كثير من أبناء المسلمين على صلة بالمدرسين النصارى ومعرَّضين للتأثيرات التبشيرية . أما البديل فهو أن نقف مكتوفى الأيدى بينما المدارس الإسلامية المنافسة تنشأ وتسحب التلاميذ المسلمين من المدارس الإرسالية وتخرِّج لنا أعداءً ألِدَّاءَ لكل

ما هو نصرانى » .

أيها الأصدقاء ، بهذا ينتهى ما أردت أن أقوله لكم . إننا لم نتكلم إلا عن الأمور ذات الأهمية الإستراتيچية المباشرة والملحة . ومع ذلك فها هو ذا قد ظهر لنا (أليس كذلك ؟) أن هذه الأمور تشتمل على أشياء مستحيلة ، وأنها تستلزم من الكنيسة مطالب نعرف تماما أنها حاليّا لا تملك المصادر التمويلية اللازمة لها . ومرة أخرى فإن هذه الكلمة تعيدنا إلى ما بدأنا به . أليست مهمة هذا المؤتمر الأولى ، لا بل مهمته الوحيدة ، هى أن يجعلنا نؤمن ونشعر وندرك أن مصادر الكنيسة التمويلية ليست ما تَقْدِر على تقديمه فى هذه اللحظة بل ما تملكه فى شخص الله وفى شخص مسيحه ؟ والآن ما الذى ننتظره إذن يا إلهى ؟ ليس لنا من أمل سواك ! وعلى هذا فإننا ندعو بينما يرن فى آذاننا ذلك السؤال وذلك الجواب الموجودان فى أعظم رسائل القديس پولس العظيم فى الترنيمة التى تقول : « من يكفينا تلك الأشياء ؟ » والتى تردّ قائلة: « كفى بالله حسيبا ! » .

« من المتحدث حقا من خلال الكتاب المقدس ؟
هل النصوص الأصلية هي فعلا كلمة الله ؟ »
لإيريش فون دانكِنْ

من المتحدث حقا من خلال الكتاب المقدس ؟
هل النصوص الأصلية هى فعلا كلمة الله ؟

إن أكثر من مائة ألف مليون نسمة فى العالم يسمون أنفسهم نصارى [١] ، فما الذى يربطهم بعقيدتهم يا ترى؟ إن وجود أساسٍ مشتركٍ ضرورىٌ لهذا الغرض ، وقد كان هذا الأساس ولا يزال هو الكتاب المقدس .

إن كلمة « Bible : الكتاب المقدس » مأخوذة من اللغة اليونانية ، إذ إن "ta biblia" معناها « كُتُب » . وفى المعجم نقرأ تحت كلمة " bible " أنها تعنى « الكتاب الحق ، والكتابات المقدسة ، ومجموعة الكتابات التى تَعُدُّها الكنيسة وثائق الوحى الإلهى ، أى كلام الله ، وتراها ملزمة فى العقيدة وفى الحياة ...» .

وعلى عكس ما يقضى به الحكم الأصوب تعلن الكنائس أن الكتاب المقدس هو « كلام الله » .

وبالنسبة لأُذُن النصرانى العادى وعقله البسيط فإن هذا الإعلان الصادر من ألسن رجال اللاهوت المباركة يبدو كما لو أن الله بنفسه قد أوحى « الكتاب الحق » و / أو أملاه . أما بالنسبة للعهد الجديد فقد تركوه يعتقد أن أصحاب عيسى الناصرى كانوا يكتبـون بطريقة الاختزال خُطَبَـه وما يرسمه من قواعـد للسلوك وما يتلفظ به من « نبوءات » ، وأنهم كانوا يشاهدون معجزاته عِيانا

(١) من الواضح أن فى الرقم المذكور مبالغة هائلة أو سهوا فاحشا .

ثم بعد ذلك يقومون بتسجيلها مرتبة تاريخيا . النصرانى إذن يُفترض فيه أنه يؤمن بـ « الكتاب الحق » على أنه مجموعة من التقارير الموثقة . ويقر البروفسور هانز كونتسلمان ، أستاذ دراسات العهد الجديد فى جوتنجن ، أن استمرار وجود الأمة النصرانية يرجع فى الحقيقة إلى أن نتائج الدراسات النقدية للكتاب المقدس مجهولة لجمهور أفرادها . إن هذا ليس هو الأسلوب النصرانى السليم ، ولكنه هو الواقع .

إن الكتاب المقدس شىء آخر مختلف عما يقوله عنه رجال اللاهوت ، بل إن روح القدس نفسه لم يعد ما كان مفترضا فى الأصل أنه هو . إننى أعرف أن نقادى من رجال اللاهوت سوف يَفغَرون أفواههم دهشة قائلين : « ولكننا نعرف هذا تماما ، ونستطيع أن نقرأه فى كتاباتنا اللاهوتية » .

وهم على حق فى هذا ، بيد أن الكنائس كلها كبيرها وصغيرها تعيش بين الجمهور وبه . إنها تصحب الإنسان البسيط من المهد إلى اللحد ، وفى بعض مراحل عمره تجعل من نفسها « شيئا لا غنى عنه » ، كما أنها عن طريق الطقوس التى تؤديها تمارس سلطانها وتملأ الخزائن الكنسية عيانا بيانا. وعلى هذا فليس من العدل أن يقال إن جميع الأخطاء التى تحتوى عليها العقيدة الدينية للكتاب المقدس (هذه الأخطاء التى تُعرَض على الملإ بوصفها الحقيقة النهائية) هى موجودة (ومعترف

بها) فى كتب المكتبات اللاهوتية البعيدة عن أيدى القراء . ترى كم من مائة الألف مليون نصرانى أو يزيد قد تخطى فى حياته عتبة مكتبة من تلك المكتبات ؟

ويقول بواقيم كال ، المتخرج فى اللاهوت من جامعة فيليبس فى ماربورج[1] ، إن « جهل معظم النصارى يرجع إلى حد كبير للمعلومات الضئيلة التى يقدمها رجال اللاهوت أو المؤرخون من رجال الدين ، الذين يتبعون طريقتين لإخفاء الوقائع الفاضحة فى كتبهم، وذلك بلَىّ الحقيقة إلى عكسها تماما أو بإخفائها » . وأنا أرى أن كلتا الطريقيتن خداع للمؤمنين بالنصرانية .

إن النصرانى من غير رجال اللاهوت من حقه أن يتحرر من الاعتقادات النصرانية الخاطئة التى نبذتها البشرية منذ وقت طويل . وما دام الأمر يتم باسم الرب فإن بإمكانه أن يطلب معرفة الحقيقة بلغة واضحة مفهومة وبلا أية بهلوانيات لاهوتية معقدة يستحيل فهمها .

وفى دستور المجلس الخاص بالكنيسة والصادر فى الحادى والعشرين من نوفمبر عام ١٩٦٤م ، وفى التقرير الصادر فى الثامن والعشرين من نوفمبر عام ١٩٦٥م بخصوص العلاقة مع الأديان

---

(1) Joachim Kahl, The Misery of Christianity, Harmondsworth, 1971 .

غير النصرانية ، وكذلك فى القانون المقدس الذى أصدره البابا پول السادس في الثلاثين من يونيو عام ١٩٦٨م ، نجد أنه قد تكرر القول بمنتهى الوضوح :

بأن الكنيسة الكاثوليكية هى وحدها التى تملك الحقيقة التى لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها .

وأن الكنيسة الكاثوليكية لازمة للحصول على الخلاص .

وأن الكنيسة الكاثوليكية هى وحدها الوارثة الحقيقية للوعد الإلهى .

وأن الكنيسة الكاثوليكية هى وحدها التى وُكِلَتْ إليها مهمة التعليم .

وأن الكنيسة الكاثوليكية هى وحدها التى بيدها الحقيقة المطلقة .

وفى الثامن عشر من نوفمبر عام ١٩٦٥م أعلنت الكنيسة الكاثوليكية فى الدستور الاعتقادى بمنتهى القوة والرسمية :

أن الله هو منشئ الكتاب المقدس .

وأن كل أجزاء ذلك الكتاب مقدسة .

وأن كل أجزائه قد كُتِبَتْ بتوجيه من الروح القدس .

وأن ما قاله مؤلفو الكتاب المقدس الملهَمُون لا بد من الإيمان

بأن كاتبه هو الروح القدس ، وأن ما جاء فى الكتاب المقدس هو دقيق وصحيح ومبرأ من الأخطاء .

ولكى يمكنهم الدفاع عن هذه الملكية الخاصة أمام جمهور النصارى العريض فإن علماء اللاهوت ، فى لامبالاة بنتائج بحوثهم حول الكتاب المقدس ، يتمحكون فى كُتَّاب الأناجيل ورسائل الرسل و « النص الأصلى » المعجز للكتاب المقدس .

بيد أنه ما من كاتب من كتاب الأناجيل قد عاصر المسيح ، وما من أحد من معاصرى المسيح كتب شيئا قائما على المشاهدة والعيان .

وكذلك لم يُكْتَبْ شىء عن المسيح وأتباعه إلا بعد تدمير بيت المقدس على يد الإمبراطور الرومانى تيطوس (٣٩ ـ ٨١ م) فى سنة ٧٠م .

وإذا أخذنا عام ٣٠م على أنه العام الذى مات فيه ابن الله ، فمعنى ذلك أن مرقص ، وهو أول مؤلفى الكتاب المقدس ، قد كتب إنجيله بعد صلب المسيح بأربعين عاما على الأقل . ويقول فى هذا الصدد د. يوهانس ليمان (٢) ، أحد مترجمى الكتاب

---

(2) Johannes Lehmann. The Jesus Report, Souvenir Press, London, 1972 .

المقدس ترجمة حديثة : « إن كتّاب الإناجيل ليسوا كتّاب سيرة بل مفسرين ، إذ إنهم لم يوضحوا ما أصبح غامضا بمرور الأجيال بل أغمضوا ما كان لا يزال واضحا . إنهم لم يكتبوا التاريخ ، وإنما اخترعوه . كذلك لم يكن همهم نقل ما حدث بل تسويغه » .

إن « النص الأصلي » الذى يُرْجَع إليه دائما والذى كثرت حوله الشروح الدقيقة لا وجود له على الإطلاق ، فما الذى فى أيدينا إذن يا ترى ؟ إنه ليس إلا منسوخات تعود كلها بلا استثناء إلى الفترة الواقعة بين القرنين الرابع والعاشر الميلاديين . وهذه المنسوخات ، وهى تبلغ زهاء ألف وخمسمائة ، منقولة بدورها عن منسوخات ولا تتوافق أية نسخة منها مع الأخرى . وقد أمكن إحصاء ما يزيد على ثمانين ألفا من الاختلافات بينها ، ولا توجد صفحة واحدة من « النصوص الأُصلية » خالية من التناقضات . ومن نسخة لأخرى فُهِمَت الآيات بطريقة مختلفة من قِبَل مؤلفين متعاطفين ، كما تحولت مهمتهم بحيث تتمشى مع مطالب عصرهم .

إن « النصوص الأصلية » للكتاب المقدس تعجّ بالآف وآلاف من الأخطاء الشهيرة التى يسهل إثباتها . وأبرز هذه النصوص ، وهو المخطوطة السينائية التى كُتِبَتْ فى القرن الرابع الميلادى مثل مخطوطة

الفاتيكان ، قد عثُر عليه في دير سيناء عام ١٨٤٤م . وهو يحتوى على ستة عشر ألَف تصحيح من المفترض أنها من عمل سبعة مصححين .

وهناك فقرات كثيرة تم تغييرها ثلاث مرات واستُبدِل بها «نص أصلى» رابع . وقد استخرج فريدريش ديليتش [٣] ، وهو صاحب معجم عبرى وباحث من الطراز الأول ، نحو ثلاثة آلاف غلطة نسخية فى « النص الأصلى » .

إن مسألة « النص الأصلى » هذه إنما هى نتيجة للأسلوب المفخَّم الذى يصطنعه رجال اللاهوت فى وصف الأشياء . إن أى مخلوق عادى حينما يسمع عبارة « النص الأصلى » يقفز إلى ذهنه النسخة الأولى نفسها ، أى الوثيقة التى لا يختلف ولا يمكن أن يختلف أحد عليها . فما الذى يمكن أن يقوله النصرانى من غير رجال الدين إذا قيل له علنا وعلى المكشوف إنه لا يوجد « نص أصلى » بهذا المعنى ؟

إن من المذهل أن خرافة الكتاب المقدس بوصفه « كلام الله» قد استمرت كل هذا الوقت الطويل ، وهو ما لا نظير له فى تاريخ البشرية بأعوامه السبعة آلالاف . إلا أن استمرار الادعاء بأن «النصوص الأصلية» التى تعج بالمتناقضات والتزييفات هى « كلام

(3) Friederich Delitzch, Die grosse Täuchung. Stuttgart-Berlin, 1921 .

الله » أمر يقترب من حالة الشيزوفرنيا (انفصام الشخصية) . إننى أعرف أن « التزييف » كلمة « ثقيلة » لأن التزييف معناه، بلا زيادة أو نقصان ، أن يقوم الإنسان بتضليل الآخرين عمدا . ولكن آباء الكنيسة أنفسهم فى القرون الأولى من التاريخ الميلادى كانوا ، رغم إمكان اختلافهم حول الفاعل ، يسلمون بأنه قد تم تزييف النصوص الأصلية ، وكانوا لا يزالون يتحدثون بصريح العبارة عن « الإضافة والحذف والعبث والتلاعب والإفساد والشطب » . ولكنْ كان ذلك منذ وقت طويل ، إلا أن المماحكة بطبيعتها لا تغير من حقيقة التزييف شيئا .

وبطبيعة الحال فإن رجال اللاهوت النصارى لا يحبون أن يتحدث أحد عن تزييف . إنهم يأخذون المزيِّفين فى كنفهم مشيرين همسا إلى « التغييرات المتعمَّدة » ، ويتحدثون عمن قاموا بتصحيح الكتاب المقدس بعبارات رقيقة لينة زاعمين أنهم فعلوا ذلك خدمة « لكلام الله » الحقيقى الذى لم يُتَحْ لهم أن يضعوا أيديهم عليه إلا بعد المسيح بزمن طويل .

وفيما يتعلق بالتزييفات التى وقعت فى الكتاب المقدس يقول د. روبرت كيل(٤) : « لقد حدث أن صُحِّح نفس النص مرات

(4) Robert Kehl, Die Religion des modernen Menschen, No. 6 a, Stiftung für universelle Religion, Zurich, undated .

كثيرة وعُدِّل إلى نص آخر له عكس معناه بناء على وجهة النظر الاعتقادية التى تتبناها مدرسة بعينها . وعلى أية حال فقد أصبح لدينا نص مضطرب تمام الاضراب وفوضـــى كاملـة ، وذلـك بسبـب « التصحيحات الفردية » ، وبالذات المتعمَّدة منها » . وقد توصل القسيس جان شورر[٥] ، الذى عمل لسنوات طويلة مستشاراً روحيا لكاتدرائية سان پيير بچنيف ، إلى أن النظرية القائلة بأن الكتاب المقدس كله وحى إلهى وأن القول بأن الله هو مؤلفه هما فكرتان متهافتتان ، لأنهما تتصادمان بعنف مع المعارف الأولية جدا التى يحتوى عليها العقل البشرى السليم ويخطئها الكتاب المقدس نفسه بمنتهى القوة والوضوح لدرجة أنه لا يمكن أن يدافع عنهما إلا مبشرون جهلة ورَعِيَّة لا تتمتع بأى نوع من الثقافة العامة .

وفى بعض طبعات الكتاب المقدس التى صدرت بأُخَرَةٍ فى طبعة زيورخ الشعبية للكتاب المقدس نجد على الأقل إقرارا بأن بعض الفقرات قد أضيفت إلى الكتاب المقدس فى وقت لاحق . ومع ذلك فليست هذه إلا إشارة حيية إلى العبث الشديد الذى تعرضت له نصوص الكتاب المقدس . وفى سلسلة « Die Religion des modernen Menschen : ديانة الإنسان المعاصر »

(5) Jean Schorer, Pourquoi je suis devenu un chrétien libéral, 8 Vortrage, Geneva, 1949 .

يقدم لنا د. روبرت كيل صورة سريعة لما حدث فعلا فيقول : « إن معظم المؤمنين بالكتاب المقدس يعتقدون بسذاجةٍ أن الكتاب المقدس كان طول عمره على الصورة التى هو عليها الآن . إنهم يعتقدون أنه كان يحتوى دائما على الأقسام الموجودة فى النُّسَخ التى بين أيدينا. إنهم لا يعرفون ، بل إن معظمهم لا يريدون أن يعرفوا ، أن النصارى الأوائل لمدة مائتى عام لم يكن لهم كتاب دينى غير العهد القديم، وأن قانون العهد القديم نفسه لم يكن قد تبلور فى صورته النهائية فى أيام النصارى الأوائل ، وأن النسخ المكتوبة من العهد الجديد لم تبرز إلى حيز الوجود إلا ببطء شديد ، وأنه لوقت طويل لم يكن أحد يحلم بأن تُعَدّ كتابات العهد الجديد كتابا دينيا مقدسا على غرار العهد القديم ، وأن هذه الفكرة إنما طرأت أولا على أذهان الناس عندما كانت الفرق النصرانية المختلفة يحارب بعضها بعضا فشعرت بالحاجة إلى تعزيز قوتها من خلال شىء يربطها ببعضها البعض ، وأنه على هذا النحو فقط شرع الناس ينظرون إلى هذه الكتابات بوصفها كتابا دينيا مقدسا ، وذلك حوالى سنة ٢٠٠ بعد الميلاد » .

وبعبارة أخرى لا يوجد هناك أى شىء عن الوحى عن طريق روح ما ، بله أن يكون ذلك عن طريق الروح القدس . ثم تسللت عبارة « كلام الله » كما لو كان ذلك فى اقتراع سرى استُعْمِلَتْ

فيه كُرَاتٌ سوداء وبيضاء . هذه هى الحقيقة ، وسوف يكون الأمر أكثر إقناعا لو أن المنظمات العالمية التى تدَّعى أنها قيِّمة على الحقيقة الوحيدة والمطلقة لم تحصر نفسها فى نطاق التعامل مع الحقائق التاريخية فى مناقشات هى مثال للكمال من الناحية الجدلية ، ولكنها غير مفهومة من جانب الرجل النصرانى العادى . إن ما ينبغى عليهم عمله هو أن يستخدموا نظاما للعلاقات العامة من الطراز الأول لتقديم الحقائق إلى « العامة » فى لغة مفهومة بوجه عام . هل تنقصهم الشجاعة على إعلان ما هم مقتنعون به؟ هل يخافون أن يُؤْخَذ من شركتهم المحدودة رأس مال تجارتهم الذى دفعه أصحاب الأسهم لو أقروا أن الكتاب المقدس ليس هو « كلام الله » ، إذ لا يمكن أن يكون كذلك بناء على الطريقة التى ثبت بالدليل القاطع أنه قد أتى إلى الوجود بها ؟ ترى إلى متى سيظل زعماء الكنيسة سادرين فى توهمهم أن بإمكانهم الإبقاء على جموع النصارى فى حالة الخضوع والبراءة اللذين تنادى بهما النصرانية ؟ وإلى متى يظنون أنهم يستطيعون الزعم بأن التناقضات والتزييفات التى تعرَّض لها الكتاب المقدس إنما هى شىء « أراده الله» « من أجل خلاص النصارى » أو شىء أوحى به الروح القدس؟ إنه إذا كانت هذه هى الطريقة التى تُعَامَل بها الحقائق ،

فأى شىء إذن يربط بين الدراسات اللاهوتية والعلم ؟ ومع ذلك فإن للاهوت كليةً خاصة به فى جامعاتنا يموّلها دافعو الضرائب ، الذين يَعُدّون أنفسهم عادةً نصارى . وإننى أتصور أن ما يقدَّم إلى الطلاب الذين يدرسون اللاهوت فى هذه الكليات إنما هو معرفة علمية خالصة ، فأى نوع من التشويه يصيب هذه المعرفة الأكاديمية عندما يتحول الأمر إلى وعظ يلقيه القسس من فوق منبر الكنيسة ؟ وأين تتم عملية « غسل المخ » التى تؤدى إلى نسيان الحقائق وإلى تشغيل الأُسْطُوانة القديمة مرة أخرى من فوق منبر الكنيسة حول الكتاب المقدس بوصفه كلام الله الحق ؟

لقد ابتدأت المسألة مع المجامع المسكونية ، وهى اجتماعات الأساقفة الكبار لبحث المسائل الكنسية المهمة . والشرط المسبق لتعيين أحد رجال الكنيسة هو أن يتمتع بـ « الكاريزما » ، أى أن يكون له نصيب من « البركة الإلهية » . وعلى هذا ففى المجامع التى تضم أمثال هؤلاء الأعضاء البارزين يكون الروح القدس حاضرا معهم بوجوده المطلق وتأثيره الفعال .

لقد أرست المجامع المسكونية (الكاثوليكية) الخمسةُ الأولى المقاييسَ الصحيحة لعقيدة الدين الجديد وتنظيمه .

وقد أُعلنت العقائد القديمة التى لا تزال صالحة إلى اليوم فى نيقية (٣٢٥م) والقسطنطينية (٣٨١م) وإفسوس (٤٣٢م) وخلقيدونية (٤٥١م) ثم فى القسطنطينية مرة أخرى (٥٥٣م) . وإن الأمر ليستحق منا أن نلقى نظرة على الكيفية التى نشأت بها هذه المجامع والقرارات التى اتخذتها ، وهى بطبيعة الحال قرارات لها صفة التأبيد .

لقد انعقد المجمع المسكونى الأول فى نيقية ، والذى دعا إلى انعقاده هو الإمبراطور قسطنطين (الذى لم يتوَّج إلا على فراش الموت) لأنه كان يريد أن يستغل الدينَ النصرانى السريع الانتشار بكل إمكاناته فى سبيل تقوية الإمبراطورية الرومانية . وعندما انتقى قسطنطينُ الثلاثمائةَ والثمانية عشر أسقفًا ودعاهم إلى الاجتماع كانت الدوافع سياسية محضة هدفها السيطرة ، أما الاهتمامات الدينية فقد توارت على استحياء فى آخر الصفوف . ولم يكن الأساقفةُ أصحابُ البركة بغافلين عن هذا ، إذ إن الإمبراطور لم يكتف بترؤُّس المجمع بل أعلنها مدوية أن إرادته هى بمثابة القوانين الكنسية . وقد قبله الأساقفة الكبار كـ « أسقفٌ عام » برغم أنه لم يكن قد تُوِّج ، وتركوه يشترك فى التصويت على عقيدة الكنيسة بوصفه حاكما دنيويا . لقد استطاعت المصالح الكنسية والدنيوية أن

تتعايش تعايشا مدهشا حتى فى تلك الفترة المبكرة من تاريخ النصرانية .

لقد كان قسطنطين على جهل تام بتعاليم المسيح ، إذ كان من عُبّاد ميثرا الإله الشمسى (إله النور عند قدماء الفرس) ، الذى كانت صورته مطبوعة على العملات المعدنية بوصفه «الشمس التى لا تُقْهَر» ، وظل الناس يعبدونه إلى ما بعد مجىء المسيح بوقت جد طويل . وعندما خلع هذا الإمبراطور اسمه على بيزنطة المدينة التجارية الإغريقية القديمة وجعل القسطنطينية (٣٣٠م) عاصمة للإمبراطورية الرومانية كان له نُصُبٌ تذكارى ضخم مرتفع فى الفضاء أقامه بمناسبة افتتاح العاصمة ، وعلى أعلاه صورة الإمبراطور والشمس التى لا تُقْهَر ، ضاربًا هكذا بعُرْض الحائط ما تنادى به النصرانية من تواضع وإنكار للذات . كذلك فقد عبق الجو بسحائب البَخُور وشقّت المواكبُ التى تضيئها الشموع طريقَها فى الشوارع الملتوية ، كل ذلك تعظيما وتمجيدا له . وبدلا من أن يلغى الرق على ما تقتضيه محبة الجار التى تنادى بها النصرانية فإن هذا الكاهن الأعظم قد أمر بأن أيّما عبدٍ ضُبط متلبسا بسرقة طعام صُبَّ النحاس المذاب فى حلقه ، كما سمح للآباء أن يبيعوا أطفالهم عند الحاجة .

ترى ما هى القرارات الدينيـة ـ السياسيـة التـى شـارك هذا « الباشا » فى إصدارها ؟

الواقع أنه حتى انعقادِ مجمع نيقية كان مذهب آريوس الإسكندرانى القائل بأن الله والمسيح ليسا متماثلين بل متشابهين فحسب هو المذهب السائد ، فجاء قسطنطين وأرغم المجمع على القول بأن الله الأب والمسيح هما من نفس الجوهر . وهكذا أصبح هذا التعديل الحاسم هو عقيدة الكنيسة بأمر الإمبراطور ، وعلى هذا النحو أصبح المسيح مساويا لله ، وعلـى أساس من هذا القرار أعلن الأساقفة المجتمعون « العقيدة النِّيقِيَّة » .

وقد أدى قسطنطين غير النصرانى خدمة أخرى جليلة للكنيسة ، إذ حتى ذلك الوقت كـان المكان الذى دُفِن فيه المسيح لا يزال مجهـولا ، ولكـن فى سنة ٣٢٦م اكتشـف الإمبراطـور « بوحى من الله » قبر المسيح ، الذى كان قد أصبح لتوه متحدا مع الله (ثم بنى قسطنطين فى عام ٣٣٠م كنيسة القبر المقدس) . ومع ذلك فإن هذا الاكتشاف الرائع لم يمنع قسطنطين من قتل بعض أقاربه الأَدْنَيْنَ فى نفس العام : وهم ابنه كرِسْپُس ، وزوجته فاوستينا ، التى ألقى بها فى ماء يغلى ، وحَمُوه مكسميان ، الذى سجنه ودفعه إلى الانتحار دفعا .

هذه هى صورة الإمبراطور والكاهن الأكبر الذى أشرف على إخراج مسرحية العقيدة النيقية ، والذى وجه بعد انفضاض المجمع منشورا إلى الأمم النصرانية يخبرها أن الاتفاق الذى توصل إليه الثلاثمائة والثمانية عشر أسقفًا إنما هو « إرادة الله » .

وبالمناسبة ، فقد جعلت الكنائسُ الأرمنية واليونانية والروسية من قسطنطين العظيم قديسا من القديسين .

ثم انعقد المجمع المسكونى الثانى فى القسطنطنية . والذى دعا إلى انعقاده هو الإمبراطور ثيودوزيوس الأول (٣٤٧م - ٣٩٥م)، الذى خلعت عليه الكنيسة تملقًا لقب « العظيم » . ولم يكن هذا الإمبراطور الرومانى مقصرًا عن سلفه قسطنطين فى صفاته الخلقية ، فقد كان شديد الإجحاف بالفقراء على ما يذكر لنا التاريخ ، يبهظهم بالأثقال المالية الفوادح التى كان جُباتُه يستأدونها منهم بوسائل التعذيب الوحشية . وقد حرَّم هذا الإمبراطور، بكل ما لديه من قوة وسلطان ، أن يؤوى أحدٌ أيًا من هؤلاء المسحوقين الذين قد يكون وقع منهم ما يكدره . ولو حدث أن أحدا لم يَنْصَعْ لهذا التحريم فإنه كان يأمر بذبح سكان قُرًى بأكملها ذبحا . وفى عام ٣٩٠م (أى بعد انعقاد المجلس المقدس بعشر سنوات تقريبا) أمر بقتل سبعة آلاف من المواطنين المتمردين

فسالت دماؤهم أنهارا فى ملعب مدينة سالونيكا . وكان ذلك فى نفس الوقت الذى أدخلت فيه الكنائسُ فى طقوسها ترنيمة تَمجيد الرب « هَلّلُويا » . هذا ، وقد جعل ثيودوزيوس من النصرانية دينا للدولة (ومن هنا لُقّب كما سبق القول بـ « العظيم »)، كما أمر أمبروزيوس أسقفُ ميلان بأن يسوِّى بالأرض كل المعابد الوثنية .

وعلى هذا النحو استطاع ثيودوزيوس أن يضرب المثل لمحاكم التفتيش . وإذا كان عيسى قد حمل إلى الفقراء والمسحوقين رسالة المسرّة فقد كان ثيودوزيوس تجسيدا حقيقيا للمسيح الدجال .

وبرغم هذا فإن هذا « الروح غير القدس » هو الذى دعا إلى انعقاد المجمع الثانى فى القسطنطينية ، فما الذى حدث فى هذا المجمع يا ترى ؟

لقد أصبح الثالوث المكون من الأب والابن والروح القدس جزءا من اعتقاد الكنيسة على يد المجمع المكون من الأساقفة الكبار والمعروف لدى المتخصصين فى الدراسات اللاهوتية بـ «مجلس البقية الضئيلة» ، وأصبح هذا الاعتقاد يسمى بـ «العقيدة النيقسطنطينية» . وهكذا أخذت الكنيسة بعقيدة اتّحاد الأب والابن والروح القدس فى الجوهر ، وهى من المباحث التى يَغْرَم بها عشاق

المناقشات اللاهوتية الدقيقة . ولا تزال الكنيسة حتى اليوم تتغذى على عقيدة التثليث التى أضيفت إلى عقائدها الأخرى بهذه الطريقة .

أما المجلس المسكونى الثالث فقد انعقد فى إفسوس بأمر الإمبراطور الرومانى الشرقى ثيودوزيوس الثانى (٤٠٨م ـ ٤٥٠م) والإمبراطور الرومانى الغربى فالنتيانوس الثالث (٤٢٥م ـ ٤٥٥م) ، ومع ذلك لم يصدّع هذان الإمبراطوران دماغيهما بالمسائل العلمانية أو الدينية ، إذ كان كل همهما الجرى وراء شهواتهما ، ومن ثم فإنهما لم يشرّفا المجمع بحضورهما إلا فى النادر .

وقد كان ثيودوزيوس الثانى ضعيف الشخصية تافها استعبدته هواياته استعبادا ، كما كان يفرض الضرائب الباهظة المجحفة على رعاياه لإشباع نزواته وإسرافه . لقد كان الإمبراطور سخيا فى أخذ «ما للامبراطور» ، ولذلك لا غرو أن وجدناه واقعا تماما تحت سيطرة أخته الكبرى پولكريا (٣٩٩م ـ ٤٥٣م) المشغوفة أشد الشغف بالسلطة وتدبير المؤامرات ، والتى قامت بدور الوصى على أخيها لبعض الوقت وكانت تفتخر دائما بمناسبة وبغير مناسبة بأنها عذراء (وهو ما كان يدفع معاصريها إلى الضحك) . وقد نجح تظاهرها بالتقوى فى أن تجعل الكنيسةُ منها قسيسة رغم أن ذلك لم

يمنعها بعد وفاة أخيها من الأمر بقتل غريمه القوى الناجح كريزوفوس . أما نظيره الرومانى الغربى ڤالنتيانوس فقد كان سلطان أمه جالا پلاسيديا عليه عظيما ، وكانت خاتمته الاغتيال.

ترى ما الذى حدث فى إفسوس ؟

لقد قرر المجمع عبادة مريم بوصفها أم الإله . وبتضمين ذلك فى الدستور الثيودوزيونى أصبح هذا القرار قانونا إمبراطوريا . وهكذا كان كل قرار يستتبع أخاه ، وطبعا كان كل ذلك يتم فى حضور الروح القدس .

ثم انعقد المجمع المسكونى الرابع فى خلقيدونية رسميا بدعوة من الإمبراطور البيزنطى مارسيانوس (٣٩٦م ـ ٤٥٧م) ، لكن پولكريا العذراء التى كانت قد تزوجت من مارسيانوس بعد موت ثيودوزويوس هى التى كانت تديزه فى الحقيقة . وكانت تَعْرِف، أفضل كثيرا من الأساقفة ، ماذا كانت تريد . وقد توصل العالم اللاهوتى إدوارد شڤارتس [٦] إلى أن پولكريا قد دعت المجمع إلى الانعقاد موجِّهةً إياه فى الاتجاه المعاكس لما كانت تريده الكنائس المختلفة ومُمْسِكَةً بحزمٍ زمام المدلولات فى يديها .

فماذا حدث فى خلقيدونية ؟

---

(6) f.7.

فى رسالته العَقَدية قدم البابا ليو الأول لأول مرة الصيغة العَقَائدية التى تقول بأن للمسيح طبيعتين ، وأعلن المجمع العقيدة التى تقوم على أن الطبيعتين الإلهية والبشرية غير ممتزجتين ولكنهما متحدتان اتحادا غير قابل للانفصال فى شخص المسيح . ولاتزال هذه الطبيعة المزدوجة سائدة إلى اليوم باسم « العقيدة الخلقيدونية» . وأخيرا وليس آخرا فقد عُهِد بمسئولية المحافظة على وحدة المذهب إلى البابا ، الذى كان بمستطاعه التدخل عندما يرى ذلك لازما . وهذه هى الظروف التى حصل فيها البابا فى روما على السلطة العليا ، وهكذا أصبحت الأسس التى تقوم عليها التطورات المستقبلية أمرا رسميا . ولا بد أن رجال الڤاتيكان اليوم لا يزالون يشعرون بالفضل لبولكريا الآثمة لتوجيهها مجمع خلقيدونية من خلال ما كانت تحيكه من مؤامرات إلى الوجهة التى تريدها .

ثم انعقد المجمع المسكونى الخامس فى القسطنطينية مرة أخرى ، وهو من إعداد الامبراطور الرومانى الشرقى چاستنيان الأول (٤٨٣م ـ ٥٦٥م) . ولم يكن چاستينان هذا مستبدا تافها ، لكنه رغم ذلك ، أو لعله بسبب ذلك ، كان خاضعا لنزوات زوجته تيودورا ، التى كانت أيضًا إحدى أوصيائه (٤٩٧م ـ ٥٤٨م) . وقد كانت هذه المرأة التى كان أبوها موظفا فى سيرك تستحق كل خير من زوجها ، فقد أنقذت العرش أثناء ثورة ٥٣٢م عندما

حدث تمرد ضد هذا العاهل المستبد . وبعد هذه الخدمة الجُلَّى أصبح بمستطاعها أن تطلق العِنَان لعواطفها المتعصبة فتقضى تماما على البقية الباقية من الوثنية ، وهو ما حَظِىَ بالتشجيع الحار من جانب أساقفة المجمع الكبار .

ولم يكن هناك من عمل فى الحقيقة أمام أساقفة المجمع الخامس للقيام به ، فما من شىء دار فى دماغ چاستنيان إلا وكان قد نُفِّذ قبل وقت طويل من خلال أوامرَ وقوانينَ إمبراطورية . ومن ثم فليس من قبيل الاستهزاء أن يُطْلَق على هذا المجمع فى الكتابات اللاهوتية اسم « مجمع التصفيق » .

وقد استدعى چاستنيان إلى القسطنطينية البابا ڤيچيلوس (٥٣٧م ـ ٥٥٥م) ، « الذى لم يكن على مستوى المنصب » والذى استشهد به ، فيما بعد ، أولئك الذين لم يكونوا يؤمنون بعصمة البابا للتدليل على صحة رأيهم . وقد وضع البابا والأساقفةُ أنفسَهم فى خدمة سياسة الإمبراطور القائمة على البطش ، هذا الإمبراطور الذى احتل مكانا فى كتب التاريخ بسبب قوانينه الباطشة ضد الهراطقة . وقد حُدِّد « الهرطقى » منذ ذلك الحين بأنه أىَ شخص يرفض العقائد النصرانية ، وكانت العقوبات التى وُضِعت للهَرْطَقة عقوباتٍ وحشية تصل إلى حد الموت ، وأُطْلِق جيش من

الموظفين الرومان فى أثر المنشقين يجمعونهم ويسوقونهم كالقطعان ثم يكرهونهم على التعميد والتحول إلى النصرانية حسب أوامر الإمبراطور.

وللمؤرخ البيزنطى پروكوپيوس (حوالى ٤٩٠م - ٥٥٥م) كتاب بعنوان « تاريخ حروب چاستنيان ضد الفرس والوندال والقوط » ، وكتاب آخر عما أقامه چاستينان من منشآت (Ha-gia Sophia !) ، ولكنه كتب أيضًا منشورا ضد چاستينان وزوجته . وقد وصف چاستنيانَ ، الذى كان ، فيما يبدو ، يعرفه جيدا ، بأنه متكبر منافق وشرير قاسٍ متعطش للدماء .

ويفضل النصارى أن يتجاهلوا وصف پروكوپيوس هذا ، وهو أمر طبيعى جدا ، فقد جعلته الكنيسة قديسا من القديسين مثل سَلَفَيّه قسطنطين وثيودوزيوس .

إن الكاتب الدينى الإغريقى أوريچن (حوالى ١٨٥م - ٢٥٤م) ، الذى كان يشغل بالتدريس فى مدرسة معلمى الديانة النصرانية ، هو أهم دارس للاهوت فى التاريخ القديم ، وأول من نادى بدراسة الكتاب المقدس دراسة نقدية . وقد استطاع إلى حدٍ ما ، وبما تلقاه من تعليم أفلاطونى ، أن يجعل الكتاب المقدس مفهوما وأن يخلع عليه صبغة روحية عن طريق تفسيره تفسيرا رمزيا. وقد أدان المجمعُ خروجَه على الشائع المألوف وعَدَّ ما قام به

من تفسير غير مطابق للتعاليم الأرثوذكسية . أما كيف يمكن التفريق في المستقبل بين ما هو أرثوذكسى وغيره فقد تُرِكَ هذا الأمر تماما لزعماء الكنيسة يقررونه وحدهم بوحي، من الروح القدس . وعندما اتخذ المجمع هذا القرار لم يقتصر الاضطهاد على أتباع أوريچن الكثيرين بل أُعْطِيَت أيضًا إشارة البدء بمطاردة كل المنشقين الآخرين .

(وفى ذلك الوقت تقريبا أصبح الخاتم الذى يرتديه الأساقفة رمزا على « زواجهم » من الكنيسة ، وهو اتحاد غريب فى رأيى بين الإنسان والروح القدس) .

إن الكتاب المقدس ليس هو « كلام الله » ، وفضلا عن ذلك فإن العقائد التى تم تلفيقها فى المجامع الخمسة الأولى على أيدى جيش من ملوك الكنيسة ليست من وحى الروح القدس على رغم البركة الإلهية التى يُفتَرَض أن المشاركين فى هذه المجامع يتمتعون بها . إن القول بهذا هو صدمة فظيعة للمتدين النصرانى العادى لأنه غير مهيَّإٍ له عادة . ترُى ما الذى بقى بعد ذلك إذن؟

in the history books because of his pitiless laws against heretics. Henceforth a 'heretic' was anyone who denied the Christian dogmas. He was subject to savage punishments, and even death. An army of Roman officials tracked down dissenters, rounding them up in droves and forcing them to accept Christian baptism on Justinian's orders.

The Byzantine historian Procopius (circa 490–555) was author of a *History of Justinian's Wars against the Persians, Vandals and Goths*, and a book about Justinian's buildings (*Hagia Sophia!*), but he also wrote a pamphlet against Justinian and his wife Theodora. Procopius, who presumably knew his noble lord well, described Justinian as proud, hypocritical, unrighteous, malicious, cruel and bloodthirsty. Christian interpreters of history like to deviate from Procopius's description. Naturally! For Justinian was canonized like the Emperors Constantine and Theodosius.

What happened at the Council?

The Greek ecclesiastical writer Origen (circa 185–254), a teacher in the catechists' school at Alexandria, was the most important theologian in Christian antiquity and the first advocate of a critical examination of the Bible. With the help of his Platonic training he had to some extent made the scriptures intelligible and spiritualized them by allegorical interpretations. The Council condemned his deviations and said his exegeses were unorthodox. What was to be orthodox in future was exclusively determined by the leaders of the Church, inspired by the Holy Ghost. When this decision was taken by the Council, persecution was not confined to Origen's numerous followers: the *view halloo!* to hunt all the other dissenters was also sounded.

(About this time the ring which bishops wear became a symbol of 'marriage' to the Church. A strange union, in my opinion, between man and Holy Ghost.)

• • •

The Bible is not 'God's word'. Moreover, the dogmas concocted at the first five councils by an army of princes of the church are not inspired by the Holy Ghost – in spite of the participants' supposed charisma. This comes as a severe shock to the average religious layman, because he is usually unprepared for it. What is left?

in reality it was run by the virgin Pulcheria, who had married Marcianus after the death of Theodosius. She knew far better than the bishops what she wanted. The theologian Eduard Schwartz[7] came to the conclusion that Pulcheria convened and pushed through the Council against the will of the various churches, and held the reins of the deliberations firmly in her hands.

What happened at Chalcedon?

With his *Epistola dogmatica* (Dogmatic Letter), Pope Leo I initiated the dogmatic formula that Jesus had two natures. The Council proclaimed the doctrine that divine and human nature are unalloyed and inseparably united in the person of Jesus. This double nature still persists today as the 'Chalcedonian Creed'. Last, but not least, the preservation of the unity of the doctrine was entrusted to the Pope, who could intervene whenever he saw fit. That is how the primacy of Rome originated. The foundations for future developments were made official. Today the men in the Vatican must still be grateful to the unholy Pulcheria for pushing through the Council of Chalcedon with her intrigues.

The fifth Ecumenical Council was again at Constantinople. It was staged by the East Roman Emperor Justinian I (483–565). He was no mean despot, but in spite of or because of it he fell in with the whims of his wife and co-regent Theodora (497–548). This daughter of a circus attendant deserved well of her husband, because she saved the throne during the rebellion of Nika (532), when there was an uprising against the tyrrannical sovereign. After this service, she was able to give her fanatical will full rein and wipe out the rest of heathendom, a project which the senior pastors of the Council warmly encouraged.

The bishops of the Fifth Council had virtually no work to do. Anything that Justinian had in mind had been achieved long before by imperial decrees and laws. It is not unironical to find this assembly described in theological literature as the 'Council of Acclamation'.

Justinian summoned Pope Vigilius (537–555) – 'Unworthy representative of his office', who was later quoted by opponents of papal infallibility to prove their case – to Constantinople. Vigilius and the bishops submitted themselves to the power-political interests of the Emperor, who found a place

sanctuaries to the ground. With his methods Theodosius could well have been the ancestor of the Inquisition. If Jesus preached a joyous message to the poor and oppressed, Theodosius was Antichrist in person. Yet this 'Unholy Ghost' convened the second Council at Constantinople.

What happened there?

The dogma of the Trinity of Father, Son and Holy Ghost, was introduced into church doctrine by the assembly of senior pastors known by theological experts as the Rump Council. It was turned into the 'Niceno-Constantinopolitan Creed'. Thus – something for connoisseurs of the finer points of theology – was introduced the doctrine of the consubstantiality of Father, Son and Holy Ghost. Today the Church still feeds on the dogma of the Trinity that was added in this way.

The third Ecumenical Council at Ephesus was convened by the East Roman Emperor Theodosius II (408–450) and the West Roman Emperor Valentianus III (425–455). These two emperors did not bother their heads about secular or ecclesiastical problems: they were playboys. So they seldom graced the council with their presence.

Theodosius II was a weakling who devoted himself wholly to his hobbies and tyranically levied taxes from his subjects to pay for his extravagant way of life. The Emperor was lavish in taking 'what was the Emperor's'. It is small wonder that he was completely under the influence of his power-obsessed intriguing elder sister Pulcheria (399–453). For some time she acted as regent for her brother and boasted of being a virgin (which only made her contemporaries laugh) on every suitable and unsuitable occasion. Her pious protestation sufficed to get her made a saint, though this did not stop her, after her brother's death, from having his able and successful rival Chrysophus murdered. As for his West Roman imperial colleague Valentianus, he was under the thumb of his mother Galla Placidia and ultimately assassinated.

What happened at Ephesus?

The Council declared that Mary should be worshipped as the Mother of God. By inclusion in the 'Theodosian Codex', their decision became an imperial law. Thus one thing followed another, and the Holy Ghost was ever present. . .

The fourth Ecumenical Council at Chalcedon was formally convened by the Byzantine Emperor Marcianus (396–457), but

Until Nicea, the doctrine of Arius of Alexandria that God and Christ were not identical, but only similar, held good. Constantine forced the Council to proclaim that God the Father and Jesus were of the same essence. This absolutely vital amendment became *church dogma* by imperial decree. That is how Jesus became identical with God. With this as a foundation, the bishops unanimously passed the 'Nicene Creed'.

The non-Christian Constantine did the Church another enormous service. Until that time, the place where Jesus was buried had remained unknown. Then, in the year of grace 326, the Roman Emperor, led by 'divine inspiration', discovered the grave of Jesus, who had just become consubstantial with God. (In 330 Constantine had the Church of the Holy Sepulchre built.) However, this wonderful discovery did not stop Constantine from murdering some of his close relatives during the same year: his son Crispus, his wife Faustina, whom he had plunged into boiling water, and his father-in-law Maximian, whom he imprisoned and forced to commit suicide.

That is the image of the Emperor and Pontifex who stage-managed the Nicene Creed and who, when the Council was over, told the Christian communities in a circular letter that the agreement of the 318 bishops was the 'Decision of God'.

Incidentally, Constantine the Great was canonized by the Armenian, Greek and Russian Churches.

The second Ecumenical Council was at Constantinople. This council was convened by the Emperor Theodosius I (347–395), who was flatteringly nicknamed 'the Great' by the Church. This Roman Emperor did not lag behind his colleague Constantine in moral qualities. He was a veritable oppressor of the poor, so history tells us, who swamped the common people with intolerable burdens, which his tax collectors exacted with brutal tortures. With the full rigour of his imperial power, he forbade anyone to give refuge to any of these downtrodden creatures who might have offended him. If they did so, he had the inhabitants of whole villages slaughtered. In the year 390 (i.e. almost ten years after the holy council) he had 7,000 rebellious citizens murdered in a frightful bloodbath in the circus of the town of Thessalonika – at the same time as the 'Halleluya' (Praise Jehovah) came into use in Christian churches. Theodosius proclaimed the Christian doctrine the state religion (hence 'the Great') and made Ambrosius, Bishop of Milan, raze all heathen

set the standards for the doctrine and organization of the new religion.

The oldest dogmas, which are still valid today, were proclaimed at Nicea (A.D. 325), Constantinople (381), Ephesus (431), Chalcedon (451) and again at Constantinople (553). It is worthwhile taking a quick look at how the Councils came into being and what decisions were taken at them – presumably for all eternity.

The first Ecumenical Council took place at Nicea. The Council was convened by the Emperor Constantine (who was not crowned until he was on his deathbed, because he wanted to use the rapidly expanding Christian religion, with its great potentialities, to strengthen the Roman Empire. When Constantine picked out and convened the 318 bishops for the Council; the background was pure power politics, religious concerns taking very much of a backseat. Even the charismatic bishops can have been in no doubt about that, for not only did the Emperor preside over the Council, he also expressly proclaimed that his will was ecclesiastical law. The senior pastors accepted him as 'Universal Bishop', even though he was uncrowned, and let him take part in votes on church dogma as a secular prince. Ecclesiastical and earthly interests entered into an astonishing symbiosis even at that early stage!

Constantine was completely ignorant of Jesus' teaching. He was an adherent of the solar cult of Mithras (ancient Iranian god of light), who was portrayed on coins as the 'invincible sun' and worshipped until far into the Christian era. When he gave his name to the old Greek commercial city of Byzantium and made Constantinople (330) the capital of the Roman Empire, he had a mighty column erected for the ceremonial opening of the metropolis, with the Emperor and the invincible sun on top of it, forgetting all about Christian humility. Clouds of incense floated in the air and candle-lit processions made their tortuous way through the streets in his honour. Far from abolishing slavery in the Christian spirit of loving one's neighbour, the Pontifex ordered that slaves caught pilfering food should have molten lead poured down their throats and allowed parents to sell their children in times of need.

What were the ecclesiastical-cum-political decisions that this pasha had a hand in?

In other words, there is nothing concrete about inspiration or a spirit, not even by the *Holy Ghost*. 'God's word' sneaks in as it by a secret ballot in which black and white balls are used. Those are facts. It would be more convincing if the world organizations which claim to be guardians of the ultimate and only truth did not limit themselves to dealing with historical facts in discussions that are dialectically perfect, but unintelligible to a layman. What they should do is use a first-class public relations system to bring the facts to the 'common people' in generally intelligible language! Do they lack the courage of their convictions? Are they worried lest the business basis, the paid-up capital as it were, be taken away from their 'limited company' if it were admitted that the Bible is *not* 'God's word', because it *cannot* be so according to the proven way in which it originated? How long are the leaders of the Church going to persist in the error that the faithful can be kept in a state of Christian humility and ingenuousness? How long do they think they can describe contradictions and falsifications as 'willed by God', 'for the salvation of the faithful' or inspired by the 'Holy Ghost'? If that is the way facts are treated, what has theological scholarship to do with knowledge? Nevertheless theology is allotted a special faculty in the universities: it is financed by the taxpayer, who usually calls himself a Christian. I assume that straight-forward scientific knowledge is imparted to the theological students in these faculties. What kind of distortion takes place between academic teaching and what is preached from the pulpit? Where does the 'brain-washing' take place that caused the facts to be forgotten, and the old song of the Bible as the true word of God rung out once more from the pulpit?

It all began with the councils, the assemblies of senior pastors for dealing with important ecclesiastical affairs. A prerequisite for the appointment of an official of the church is that he have 'charisma', i.e. that he shares the 'divine gift of grace'. Hence when councils with such illustrious members meet, the Holy Ghost is among them, omnipresent and active.

The Assemblies of the first five Ecumenical (which means the whole Catholic Church) Councils of the early Christian world—

school. At all events, a completely chaotic text and irremediable confusion has already arisen owing to individual "corrections", but even more so to deliberate ones.' And the priest Jean Schorrer[5], for many years spiritual adviser to the Cathedral of Saint-Pierre, Geneva, came to the conclusion that the theory of the total inspiration of the Bible and the idea that God was its author were untenable: this idea clashed so fiercely with the most elementary knowledge of healthy human reason and is refuted so clearly by the Bible itself, that it could only be defended by ignorant evangelists and a flock devoid of any kind of general culture.

* * *

In *some* recent editions of the Bible – for example, in the popular edition of the Zurich Bible – it is at least admitted that some passages were added by a later hand. But even this is only a very hesitant indication of the massive manipulation to which the biblical texts have been subjected. In the series *Die Religion des modernen Menschen*[6], Dr. Robert Kehl gives a sketch of what really happened. I quote:

> Most believers in the Bible have the naïve credo that the Bible has always existed in the form in which they read it today. They believe that the Bible has always contained all the sections which are found in their personal copy of the Bible. They do not know – *and most of them do not want to know* – that for about 200 years the first Christians had no 'scripture' apart from the Old Testament, and that even the Old Testament canon had not been definitely established in the days of the early Christians, that written versions of the New Testament only came into being quite slowly, *that for a long time no one dreamt of considering these New Testament writings as Holy Scripture*, that with the passage of time the custom arose of reading these writings to the congregations, but that *even then no one dreamt of treating them as Holy Scripture with the same status as the Old Testament*, that this idea first occurred to people when the different factions in Christianity were fighting each other and they felt the need to be able to back themselves up with something binding, that in this way people only began to regard these writings as Holy Scripture about A.D. 200.

verses were understood differently by sympathetic authors and their functions transformed to suit contemporary needs.

The biblical 'original texts' teem with thousands and thousands of easily provable and well-known errors. The most prominent of them, the *Codex Sinaiticus* – written in the fourth century A.D., like the *Codex Vaticanus* – was found in the Sinai Convent in 1844. It contains 16,000 corrections, which are supposed to go back to seven correctors. Many passages were altered three times and replaced by a fourth 'original text'. Friedrich Delitzsch[3], author of a Hebrew dictionary and a first-rate scholar, established about 3.000 copying mistakes in the 'original text'.

This business of the 'original text' is a symptom of the sublime art of theological description. Every normal mortal connects the concept 'original text' with the very first version, an undisputed and undisputable document. What would the Christian layman say if he was told openly from the pulpit that an original text in this sense did not exist?

It is staggering that the fairy tale of the Bible as 'God's word' has endured so long – there is no comparison in the 7,000 years of human history. But the fact that the 'original texts,' which teem with contradictions and falsifications, are still publicized as 'God's word' borders on schizophrenia. I know that falsification is a harsh description, for falsification means nothing more or less than being intentionally misleading. But even the Fathers of the Church of the first centuries A.D. agreed that, though they might quarrel about the culprits, the 'original texts' were falsified; they still spoke openly of 'interpolations, profanation, destruction, improvement, corruption, erasing' – but that is long ago and then as now the hair-splitting does not alter the objective fact of falsification.

Christian theologians, naturally enough, do not like to hear anyone talk about falsifications. They take the forgers under their black wings and whisper about 'conscious alterations', they wrap the correctors in verbal cotton wool and claim that they acted in the interests of the true word of God – to which they must have had access long after Christ.

Dr. Robert Kehl[4], Zurich, writes in connection with the falsifications: 'Frequently the same passage has been "corrected" in the opposite sense by another, depending entirely on which dogmatic view had to be defended in the relevant

that the Catholic Church alone is in possession of the absolute truth..

On 18th November, 1965 the Catholic Church proclaimed solemnly and most officially in the dogmatic constitution:

that *God was the originator* of the Bible,
that *all parts* of the Bible are sacred.
that *all parts* of the Bible were composed under the influence of the Holy Ghost.
that *everything* that the inspired composers of the Bible say must be considered to be written by the Holy Ghost and that what is taught in the Bible is *accurate, true and without error.*

So that they can defend this exclusive property to the vast community of believers, theologists, unaffected by the results of their biblical research, base themselves on the evangelists, the epistles of the apostles and the miraculous 'original text' of the Holy Scriptures.

✓ But none of the evangelists was a contemporary of Jesus and no contemporary wrote an eyewitness account. Nothing was written down about Jesus and his followers until after the destruction of Jerusalem by the Roman Emperor Titus (A.D. 39–81) in the year 70. And if the year 30 is accepted for the death of the Son of God, then Mark, the first author of the Bible, wrote his gospel at least forty years after the crucifixion of Jesus. Dr. Johannes Lehmann[2], co-translator of a modern edition of the Bible, says on this point: 'The evangelists are interpreters, not biographers; they have not illuminated what had grown dark with the passage of generations, but obscured what was still light. They have not written history, but made history. They did not want to report, but to justify.'

The 'original text', so frequently consulted and so abundant in theological hairsplitting, do not exist at all. What do we possess? Transcripts that without exception originated between the fourth and tenth centuries A.D. And these transcripts, some 1,500 of them, are transcripts of transcripts, and not a single transcript agrees with another. Over 80,000(!) variations have been counted. There is not a single page of the 'original texts' without contradictions. From copy to copy the

say: 'But we know that perfectly well, you can read it in our theological literature.'

They are right. But: the churches, large and small, live among and by the public. They accompany the simple man from the cradle to the grave, at important stages of life they make themselves 'indispensable' by their ceremonies, they exercise their power and fill the church coffers in public. So it is quite unfair to say that all the errors (publicly diffused as the ultimate truth) of religious biblical dogma are available (and admitted) in the books of remote theological libraries. How many of the more than one hundred thousand million Christians ever cross the threshold of one of those libraries?

• • •

Joachim Kahl[1], graduate in theology of Phillips University, Marburg, states: 'The ignorance of most Christians is largely due to the scanty information provided by theologians and ecclesiastical historians, who know two ways of concealing the scandalous facts of their books. They either twist reality into its exact opposite or conceal it.' I call both methods cheating the faithful.

The layman has a right to be liberated from erroneous Christian dogmas that have long since been superseded; he can, since it happens in the name of the Lord, demand that he be told the truth, in an intelligible way in language without complicated and impossible theological gymnastics.

In the Constitution of the Council on the Church on 21st November, 1964, in the statement of 28th November, 1965 on the relationship with non-Christian religions, as well as in the solemn credo of Pope Paul VI of 30th June, 1968, it was once more expressly laid down:

> that the Catholic Church alone proclaims the infallible truth,
>
> that the Catholic Church is necessary for salvation,
>
> that the Catholic Church alone is the true heir of the divine promise,
>
> that the Catholic Church alone is in possession of the spirit of Christ,
>
> that the Catholic Church alone is entrusted with the infallible teaching office.

CHAPTER TWO

WHO REALLY SPEAKS THROUGH THE BIBLE? – ARE THE ORIGINAL TEXTS 'GOD'S WORD'?

MORE than a hundred thousand million people in this world call themselves Christians. What is it that ties them to their creed? A common basis is necessary for the purpose. That basis was and is the Bible.

The word Bible comes from the Greek: *ta biblia*, books. Under the entry 'bible' in the dictionary it says: 'Book of books, Holy Scriptures, the collection of writings which are regarded by the Christian Church as *documents* of the divine revelation, *God's word*, and as binding in faith and life. . . .'

Against their better judgment, the churches proclaim that the Bible is 'God's word'.

To the ears and simple heart of the humble Christian this proclamation from the anointed tongues of theologians sounds as if God in person had inspired the Book of Books and/or dictated it, and as far as the New Testament is concerned he is left to believe that the companions of Jesus of Nazareth took down his speeches, rules of life and 'prophecies' in shorthand, observed his miracles at first hand and soon afterwards noted the miraculous events down in a chronicle. The Christian then is supposed to accept the Book of Books as a collection of authentic reports. Professor Hans Conzelmann, Professor of New Testament Studies, Göttingen, admitted that the Christian community really continues to exist because the conclusions of critical examinations of the Bible are largely unknown to them. That is not the proper Christian way, but it is true.

The Bible is not what it is represented to be and even the Holy Ghost is no longer what it was originally supposed to be. I know that my theological critics will raise their eye-brows and

Who Really Speaks through the Bible ?
Are Original Texts God's Word ?

Friends, our survey is over. We have only been talking about work of immediate critical and strategic importance, and lo, even this has appeared (has it not?) to involve impossibilities, to involve making calls upon the Church for which we know perfectly well she has no present resources. But once more this word brings us up sharp. Is not the primary, nay, the entire object of this Conference to make us believe and feel and know that the resources of the Church are not what she is ready to produce at this moment, but what she has in God and in the Spirit of His Christ? And now, therefore, Lord, what wait we for? Our Hope is in Thee! So we pray: while in our ears ring that question and that answer which come antiphonally in perhaps the greatest of the Epistles of the great St. Paul—

"Who is sufficient for these things?"

And the antiphone—

"Our sufficiency is of God."

missions." I hear, moreover, that the German Government is alive to the danger that the triumph of Islam would infallibly mean, and wishes to keep Islam out and encourage missions. Would that British administrators in Nigeria and elsewhere saw this point equally clearly! Mr. Chairman, is this Conference to pass without an official representation being made to the British Government as to its Moslem policy in East and West Africa? We have in our President one who has stood before kings, and even prime ministers, and not been ashamed. Might we not ask that he should voice us before a Secretary for Foreign Affairs?

Can then we sum up the appeal to the Church and to this Conference which the situation in East Africa constitutes? It is done for us in a weighty communication that has reached me from Bishop Peel, one of God's responsible chief-ministers in that part. Here are his four points—

(1) "That a Christian Government should never let the Christian religion be regarded as one of many, but as the one religion it can recognise as paramount. While showing no partiality in courts or administration, a Christian Government should make all the people feel it values most for rule and office in all branches the persons who have the spiritual education of the Christian religion, and will use such in preference where it can. The Germans are doing this."

Are not these words a challenge to this great Conference to bring this point of view in some earnest, definite way before the three Governments interested in East African administration?

(2) "To occupy strongly every strategic base or centre (in the Islamised part of East Africa) in order to hold it in check."

This requires in the east coast the same consistent co-operation which we have been desiderating in the west.

(3) "To offer sound education from lowest to highest in chosen places, with Bible teaching open to all, but not compulsory. Only thus can the sons of many a Mohammedan be kept in touch with Christian teachers and under evangelistic influences. The alternative is looking on while rival Moslem schools spring up, draw away the few Moslem pupils from the Mission schools, and educate powerful antagonists to all that is Christian."

separate starts from a score of separate points on the west. No attempt at unity as far as I am aware. I wish for this reason that all West African missions might make a vigorous attempt to work among Moslems. This would give them an obviously common task at least. Islam might link us together; this done it would be time to try to settle on an intelligent common plan of operations. But we are far from that yet."

Are these closing words not indeed a challenge? In this hall are representatives of the Churches or Societies working in West Africa. Were it not glorious if one result of this Conference should be that that which seemed to that writer to be so far should suddenly, at this time, take place and come about? Here is a work for the International Board for promoting local co-operation, which we all so earnestly hope will be born from this Conference.

And last, East Africa from British East Africa right down to the Zambesi. The clear call, is, first, to hasten on with the evangelisation of the tribes threatened by Islam, and specially the most influential of them. Thank God for churches like those in Uganda and Livingstonia. It is sometimes said that such churches will be as islands in a sea of Islam, as lodges in a garden of cucumbers. But let us not be enslaved by dreary metaphors. Let us rather say that such churches will be centres of life, and heat, and light, serving and saving the Islamic peoples round them, if Islam is really to fill up the spaces round them. But is Islam to do this? "Christians, awake!"

So much for prevention. But the direct work should not for a moment be neglected, and that for five excellent and weighty reasons advanced by Pastor Würz, which I would there were time to quote. And there is much to encourage the prosecution of this type of work. For example, I have it on the very best authority, that "according to the observation of a senior missionary who has been on the spot thirty-four years, the actual power of the Moslems in German East Africa has decreased. In slaving days the power of strong individuals was exercised over all the coast tribes. This is almost entirely broken, very much through the influence of

the Western Sudan. As Pastor Würz writes, the blow at the heart of the extensionist movement in the Central region would be a work carried on in the Senussi centres of the Sahara. This seems impossible. He adds: "What can we do in this matter but pray and wait?" This then is what it is the duty of the Church to do. And then there is that advancing fringe—from the Shari River to the Bahr-el-Arab. A Christian traveller has now been across that fringe. Is not that fact a challenge to your Churches and Societies, fathers and brethren, to advance along the path thus indicated, eastward from the Cameroons and Nigeria, westward from the missions on the Upper Nile? And before leaving this aspect of the subject let me point out the importance of praying down the French opposition to non-Roman effort in all its vast African Islamic Empire.

Turning from the Central Sudan to the Western, I should like to quote some words of Pastor Würz of Basel, who has devoted so much attention to the subject. "For the moment," he says, "North Nigeria seems to me the most important point. The countries round Lake Chad, on the British or German side, may be second. If French territory were open to the Gospel some great centre further west might be of the same importance." So far Pastor Würz; and here I wish I could quote to you the whole of an important letter, written last New Year's Day by Mr. T. E. Alvarez, Secretary of the C.M.S. North Nigerian mission. You would see how completely it endorses the words, "For the moment North Nigeria seems the most important point." He points out the enormous work that might be done there to-day, both preventive and direct; how essential it is that it should be done at once in view of the rapidly approaching linking up of the Lower Niger, Hausaland, and Calabar by railways. May I remind you also yet once more of Dr. Miller's appeal for forty educationists or evangelists for Hausaland, that the Hausa nation may lead the way in stopping the Mohammedan rush? Fathers and brethren, I fall back earnestly upon my motto, *verbum sapientibus!*

I return to Pastor Würz: "There is almost no unity in African missions. Look at the west coast. A score of

189,000 Moslems of Siberia in the Tomsk and Obolsk districts, and of the conversion of three Moslems in Siberia in 1908. A small harvest, truly, yet it shows that the task is no impossibility. We know of the great evangelistic work done by the Greek Church in Japan. Why should not the word of the Lord yet come to that Church to do a similar work wherever Moslems are found in the Russian Empire? May it be that, at the next Decennial Conference, Greek Church delegates and Roman Church delegates will be found sitting here with us and rehearsing to us the mighty acts of the Holy Spirit at their hands in Asiatic Islam?

Lastly, Africa. I need not say one word to you, fathers and brethren, to tell you of the crisis in which practically all Africa is involved between the religions of Christ and Mohammed. The thing is notorious, and this Conference at least is well aware of its seriousness. The two main causes are, first, the influence of the Senussi movement, which has radiated from the North-East Sahara, and is felt, I believe, wherever Islam is advancing between the 10th and 5th degrees of latitude North; and secondly, the influence of traders, who, taking advantage of the security given by the various British, French, or German occupations, carry Islam everywhere. This applies generally to East Africa and the Central and Western parts of the Sudan.

How can these things be dealt with?

In regard to the first, Dr. Kumm in his recent journey across Africa and along the Moslem fringe, everywhere found tribes on the Shari River and North Congo streams up to the 5th parallel in process of being Islamised; and he found that the impetus was coming from the Senussi movement. The Senussi monasteries and not El Azhar are the true fountain head of North African Mohammedan extension, and Senussism, though utterly anti-modernist, is nevertheless not orthodox. No Senussite could study at El Azhar, that home of an unmilitant orthodoxy. The only contribution El Azhar makes to Central or West African Islam is the vague prestige of its name, and a certain amount of consolidating influence exerted by the few Azharite graduates who find their way back to Hausaland and other parts of

inter-communication. Our Dutch and German brethren are doing a magnificent work here both in winning Moslems and in preventing the Islamising of non-Moslems. All this great Conference can do is to encourage them to make even greater exertions in the name of the Lord! In particular, may we not pray that they and we may be enabled to strengthen our hold on Borneo, that great island in which but little is being done, and which, I am informed by the Rev. G. Allan, S.P.G. missionary there, is full of fanatical and very influential Malaysian Moslems. It is a marvel that the Dyaks and other aborigines have not been Islamised, such being the circumstances. It seems that we owe their present escape to their unparalleled relish for pork! But that is not a satisfactory thing for us to rely on, and with this Malaysian environment the danger is imminent. Even in the case of the enormous island of New Guinea, hitherto as far as I know unaffected by Islam, we may well let fall the appeal in passing to hasten its evangelisation, lest, if we tarry, it too become as Java and as Sumatra.

In China until recently the problem of Islam has hardly been even studied, much less worked at. We have read in the Report the significant message of young Chinese Moslems studying at Tokio, "Moslems, awake!" Is not the translation of this simply, "Christians, awake?" It is, in fact, a sharp admonition to us that the *laissez faire* attitude of the past must now cease. The Report advises the focusing of Christian effort on certain known strategic centres and the setting apart of men for the purpose. It adds: "Such workers would need a knowledge of both Chinese and Arabic." This is only one more indication of the necessity of having an Arabic Seminary at some centre like Cairo.

From China through to Central Asia, Turkestan, and Russia is an historic route. From what I learn from three first-rate informants, the thing of paramount importance to pray for is the revival of the Greek Church, and the according to other forms of Christianity a more complete freedom to be and to work. The Greek Church has the means and the men had she the vision and the passion, yet I am informed of two small Greek Church missions among the

of the enormous importance that region is going to have in the future when the Bagdad railway scheme and Sir William Willcock's irrigation scheme have been worked out? Is it not vital that the Church should initiate work there on a totally different scale than exists at present?

After Mesopotamia, Persia. The ferment in that country is not a call to retreat or stand still, but to go forward (a thing which is everywhere true where the minds of men are at last feeling the need of something they have not got). The Bakhtiari Chiefs who carried through the recent *coup d'état* and became the *de facto* governors of Teheran, were, before they came into this startling prominence, the firm friends of the C.M.S. missionaries. Does not this one fact make it crucially important to strengthen and reinforce those working for the gospel in that land, the importance of which as dividing Sunni Islam is so great? The opportunity was greater a few years ago than it is to-day. Is it to slip entirely?

In India we have the same phenomena noted in Egypt, constituting the same call. We have the same enormous mass of popular Sunni Islam; and to a still greater extent a modernist movement, which has never yet been adequately dealt with. In addition to all this we have the serious intelligence of some millions of outcastes in Bengal or the Punjab, who before very long must be claimed by either Islam or Hinduism if the Christian Church does not gather them to herself. Is not the latter fact a call to the Church immediately to do this vital work of taking preservative measures? In this case, by how many thousand times is prevention better and easier than cure! For the rest the Report of Commission I. registers the impression that in India Moslem Missions have been sadly neglected. Hardly any men are set apart for this work in S. India, and nowhere I believe, in India as elsewhere, is the proper training being given to men who are to engage in modern work, and who have now not only to study traditional Islam but the modernist movement and literature that have their source and spring at Aligarh.

In the East Indies we have already mentioned the new activity consequent on increased facilities for travel and

with its several almost contradictory aspects. I do not know where that study can be fully carried on, except somewhere in the Arabic-speaking world; and that somewhere, beyond all dispute, can only be Cairo. Therefore it seems to many of us that a school of Arabic study must be quietly founded and carried on there—a school which shall be at the service of missionaries from every part of the Moslem world. I say this without prejudice to schemes of Oriental Colleges and courses in the home lands, schemes which will certainly have their place, but will not, I believe, be more than supplementary or complementary to what I am indicating. At Cairo, then, this school can only be started and maintained, Gentlemen, by your Societies taking thought—if not anxious thought, still thought—and that immediately. *Verbum Sapientibus!*

Moving East from Egypt, we come to Arabia, the Cradle of Islam. Besieged as it is by Moslem countries where modernist actions and re-actions are taking place, ought it not to be more effectively besieged by us? I would call your attention first, to the recommendations of Commission I., that ten important points along the coast should be occupied with medical missions, like so many encircling light-centres; secondly, to the reminder recently given by Mr. Garland, the Jewish missionary, that Islam may yet be reached by the Jews of greater Arabia, if we remember "to the Jews first"; thirdly, to the following words of Dr. Young of Aden:—

"I think the Church should seize the present opportunity of entering the open door of Arabia, and specially should it try to start a large united mission in Mecca or Medina. It may seem Utopian even to dream of starting a mission in Mecca or Medina, but until an effort has been made no one can tell whether or not it will be successful. At any rate an attempt should be made to begin work in Jidda (the port of Mecca) and a properly equipped hospital established there would do much to teach the pilgrims the meaning of Christian love." Dr. Zwemer told me yesterday that he considered Jidda even more important—it is certainly more practicable—than Mecca.

Turning to Mesopotamia, may I remind the Conference

that it is proper to emphasise another critically necessary line of advance which the Christian Church must make without delay. I mean an advance in the quality and quantity of the scholarship of those who work among Moslems all over the world, and especially in those parts where the enlightenment is going on. There are two main lines along which this increased study must be directed, and Moslem Cairo stands for both: the first is the old traditional theology and philosophy, represented by the University of El Azhar; and the second is the modernist movement, which more or less touches every young Moslem who receives an education after the Western model, and which consists, as I have said, in an attempt to get behind the actual historical evolution of Islamism, and to re-think-out a new policy, a new theology, a new philosophy, and a new society, upon the basis of the Koran, unsupplemented by all tradition whatever. This movement, which is strongly represented in India, has also a firm footing in Cairo, where the well-known Sheikh Mohammed Abdu lectured and gained disciples. One of these disciples, the editor of the Cairo review, *El Menar*, is the man who at this moment is busying himself about founding a missionary college for Turks in Constantinople, the graduates of which shall go forth to teach the principles of this new Islam, specially in the further East! Whereby you may see that this new Islam aims at spreading and propagating. Now both these lines of intellectual activity imply a force of scholar missionaries, more numerous and many degrees more learned than at present exists. For even though the learning of traditional Islam be supposed to be on the decline—and the supposition remains to be proved, though it is hardly questionable that El Azhar is a decaying institution, and its influence abroad a mere shadow of what it was—yet that traditional learning is still the learning that underlies the life of the enormous masses of Mohammedans all over the world, masses whose very *vis inertiae* will always be a formidable and potent thing. That traditional learning, then, demands students as much as ever it did, and those same students must add to their programme the task of watching, studying, and meeting this Neo-Islam

Empire, whether Anglican or non-Anglican. Secondly, to occupy the unoccupied districts through the Societies contiguous to them—these districts are mentioned in the Report of Commission I. Thirdly, to place literary work on a stronger and surer footing. (I will return to this point in a moment.) Fourthly, to put wise, continuous, and courageous pressure upon the Government to make full religious equality and liberty an actual fact in the Empire. Fifthly, to make a wise and courageous advance in direct work for Moslems. In an informal conference lately held in Beyrout, which I had the privilege of attending, one heard witness after witness dwelling on the extent to which such direct work is already being done, and the far greater extent to which, in the opinion of all, it might be now done. At the end of the day that informal conference expressed its opinion, with this Edinburgh Conference specially in view, as follows:—

"(1) That direct evangelistic work among Moslems, which has been going on quietly for several decades in Syria and Palestine, is more than ever possible to-day, whether by means of visiting, conversation, the production and careful distribution of Christian literature, Bible circulation, medical missions, and boys' and girls' schools. (2) That the promulgation of the Constitution has already, in the more enlightened centres, made this direct evangelistic work easier, and will, we trust, as the constitutional principle of religious equality becomes better understood by the people, make it increasingly so. And, on the other hand, we are face to face with a Mohammedan educational and religious revival which makes necessary t' is missionary advance if the prestige gained in the past is to be preserved and increased. (3) For which reasons it is certain that the time has come for a wisely planned and carefully conducted and intensely earnest forward move in work among Moslems in Syria and Palestine, and the attention of all the Societies already working in the field is to be directed towards immediately making that forward move."

Fathers and brethren, *Verbum Sapientibus!*

Passing to Egypt, where the larger measure of civil freedom makes the possibilities of direct Moslem work practically unlimited, we find that Cairo is still to-day the intellectual centre of Islam. It has been so ever since the decay of Bagdad under the Abbasides. It is therefore at this point

in our consultation this evening both must be kept in our minds. In the narrow sense, those resources are utterly insufficient to meet the situation to-day, though they could doubtless be more wisely disposed, more economically distributed, more richly used. But at our disposal also are the resources of the living God, and this thought will keep us reminded during this session also of the root lesson of this Conference, that only a new realisation of the meaning of a living God will avail us to accomplish or even continue our superhuman task.

There is not time to indicate more than the foci where the particular crisis of to-day are centred. Fathers and brethren, our motto must be *Verbum Sapientibus!* In this hall, and on this subject, I must and may emphasize each of these two words.

Beginning, then, with the Ottoman Empire, we find a movement which can broadly be described as one towards freedom, political first and then intellectual. Ultimately a double movement of this nature must react on religion slowly but surely. The inner attitude of the young Turks themselves to religious toleration is probably an advanced one. The very fact that Christianity and Christians have been to such a large extent at the bottom of their movement must produce far-reaching and important consequences. Already in many parts of the Turkish Empire, notably Syria, the liberty of the press is making very great advances. Already some leaders of Islamic thought are disposed to query the whole elaborate fabric of Islam as historically evolved and elaborated, and to go back to the Koran, into which some of them read as much Christianity as they are able. Are not these facts a call to the Societies at work in the Ottoman Empire to stand by and to strengthen their work so as to be ready to take advantage of the expanding situation? May not the day for reaping the fruit of the marvellous endurance of the Armenian martyrs be nigh? It must come, as sure as there is a just God in Heaven!

The following steps, then, seem incumbent: first, to strengthen the already splendidly successful work done for and amongst the several Eastern Churches in the Ottoman

reaping most of the harvest sown by the Ethiopianism of to-day.

This rapid preliminary survey assures us, then, that even from the view-point of a modern movement, the Mohammedan problem is practically co-extensive with the whole world of Islam. And may I not, in this great Conference, make yet one more preliminary remark. This problem of Islam is one which we simply cannot overlook—not even in the face of the indescribably urgent situations facing us in the Far East. And this, first, because Islam is at our doors; from the far-flung North African coast it fronts Europe, actually touching it, so to speak, at either end of the Mediterranean,—at the Pillars of Hercules and at Constantinople. And secondly, because it is a central problem also. Think of that enormous central block of solid Mohammedanism from Northern Africa into Western and Central Asia! Like an immovable wedge, it keeps the Christian West from the pagan or heathen East; and I would have you recollect, Fathers and Brethren, that even were our Japanese, our Korean and Manchurian, our Chinese, our Indian problems solved, their present crises happily met and surmounted, and a Christian Far East added to the Catholic Church, that great central unsympathetic, alien, and hostile wedge would cut Eastern and Western Christendom absolutely in half, keeping the twain apart, insulating them from each other, and exhibiting to God and man not merely a seam, but a rent, from top to bottom, in the seamless robe of the great Catholic Church,—of a humanity wholly, but for Islam, won for Christ. Truly, then, we cannot postpone the problem of Islam. It is a problem of to-day, as we have seen. Let the same "to-day," then, be the day of solution and salvation.

My task and privilege then this evening is to seek to unfold to you, representatives of the Church militant in all the earth, the situation as it is to-day, in view of the modern or modernist movements within Islam; our object being unitedly to take measures, to the utmost extent of the resources at our disposal, by which the situation thus realised may be met. And this last sentence reminds us that "the resources at our disposal" is a phrase capable of two interpretations, and that

railway line conduct them. So that no doubt the Transcaspian railway, which will in time be continued from Russian Turkestan into Chinese Turkestan, will carry ideas with it, and so the historic trade-routes that cross the middle of the heart of the Asiatic continent into China, may soon become nerves organising Moslem Central Asia into a much closer organism than it has been before. Or turn to China; if there is one country in the world the Mohammedans of which might be confidently supposed not to be sensitive to impressions from the outside world, that country is China, for the Chinese Moslems have been the standing example of the most stagnant and unintelligent possible form of Islamism. Yet we hear of the dispatch of a Turk to be the first resident Moslem missionary in China, and more striking still, of thirty Chinese Mohammedan students drinking in Western ideas at a Japanese University, and editing a quarterly magazine for distribution to their fellow-religionists throughout China with the significant title "Moslems, Awake!" Or turn to Malaysia; the modifying influence here is the steamship, which is enabling an ever-increasing number of Javanese, Sumatrans, and other East Indian Moslems to make their pilgrimage to Mecca, with the natural result of welding Islam into a much more compact and unyielding whole throughout Malaysia. Or turn to Arabia itself; the tomb of the Prophet at El Medina resounds to-day to the whistle of a railway train. From Arabia indirectly came the great—you cannot call it modernist—but the great modern or recent movement of El Senussi, the influence of which is being felt right away through the Súdan to Lake Chad and the heathen tribes on the extreme north of the Congo basin. Otherwise the Moslem movement, so fearfully extensive through Africa, is essentially a reaction consequent on the action of European Governments, for the establishment of settled governments all the way from the Nile to the Zambesi has weakened or broken down tribal exclusiveness, and opened up a hundred thoroughfares for the peaceful penetration of Islam; which being so, we shall probably before long see Islam assuming the attitude of the heaven-sent uniter and vindicator of the African race.

CHANGES IN THE CHARACTER OF THE MISSIONARY PROBLEM

II. IN MOHAMMEDAN LANDS

By the Rev. W. H. T. GAIRDNER, Cairo

Address delivered in the Assembly Hall on Saturday Evening, 18th June

Mr. Chairman, Fathers, and Brethren,—The question is not so much, where do we find evidences of the modern movement in Islam to-day? as, where do we not find such evidences?

We are, of course, familiar with the modernist movement which is affecting the middle Moslem realms of Turkey, Egypt, Persia, and India,—all of them countries into which European ideas have found their way, and have produced political and intellectual fermenting, both of which in turn are reacting on religion. But these are not the only countries in Islam that are being modified in some new way by events which, directly or indirectly, have had their origin in the West. In Russia the promulgation of religious liberty on the 17th April 1905 has resulted, as I am informed by a Russian lady who has made a special study of the subject, in the return to Islam of 50,000 forced conformists to the Greek Church; and they have been accompanied or followed by not a few who embraced Islam for the first time. There is no doubt that events like these will stimulate the Mohammedans in Russia in Europe, the Volga districts, Russian Central Asia, and perhaps Siberia itself. For ideas are like electricity; they move fast, especially when the metals of a

Changes in the Character of the Missionary Problem in Mohammedan Lands

which form almost a tenth part of the whole of the sacred volume.

The text of the Koran was certainly not brought together during the Prophet's lifetime. Only four of his disciples, Ubayy ibn Ka'b, Mu'âdh ibn Jabal, Zaid ibn Thâbit, and Abû Zaid Anṣâri, had gathered more or less complete collections of its words. The struggle with Musailima, the false prophet, had cost the lives of many of the chosen depositaries of the original text, when Abû Bekr, impelled by 'Umar, who had seen the end of many of these precious witnesses, ordered that every written text to be discovered should be collected, and confided this task to Zaid, who had acted as Mahomet's secretary. 'Umar, who supervised this edition, would only accept written passages supported by the declaration of two witnesses. Thus many fragments of the revelation, for which this twofold testimony could not be adduced, were not incorporated, though they may well have been authentic. This gave the Shî'ites ground for affirming, in later days, that the Sunnite text was incomplete, and that everything relating to the providential mission of 'Ali and his family had been expunged therefrom. The edition bore no official character—a proof of this lies in the fact that, when 'Umar died, it became the property of his daughter, Ḥafṣa.

During the wars in Armenia and Adharbaijân, the soldiers from 'Irâq wrangled with those from Syria over the way in which the Koran should be read. Ḥudhaifa, their leader, laid the question before Caliph 'Uthmân, who commanded Zaid ibn Thâbit and some other Quraishites to draw up an authoritative text. They collected all the existing copies, but acknowledged that of Abû Bekr, preserved by Ḥafṣa, as their true basis,

novel feature is the Prophet's answer to the "wicked and adulterous generation" that presumes to demand a miracle in proof of the truth of his mission. Miracles, he says, are everywhere about us. "Wherefore ask for a miracle when the whole of nature is a miracle? I am only sent to warn you!" A special mention should also be made of all the verses in which the name applied to the Deity is "al-Raḥmân" (the Merciful), the name borne by the pagan divinity of certain tribes.

The second part of the Koran comprises the four-and-twenty chapters written during the ten years spent at Medina after the flight. Enthusiasm is less fierce; the preacher is giving place to the lawgiver, the statesman. He teaches, he explains. His object is no longer to subjugate and to convince. The ideas of his followers are formed. They believe, and the swelling multitude of his disciples forces his unbelieving foes to the conviction that they will soon have to reckon with his growing power. The style loses its poetic character. It becomes a lengthy prose, with constant repetitions, intended to drive certain simple ideas into even the most obtuse of brains. The sermons, which opened during the Meccan period with the formula "O men!" now begin "O ye who believe!" or, when the preacher speaks to his enemies, "O Jews!" or even "O hypocrites!" The general style is heavy and diffuse; the verses are very long. The chapters are made up of fragmentary harangues and detached sentences; yet from time to time passages of a truly wonderful beauty and nobility of thought and expression occur. The principles of the religious, civil, and penal code of the newly formed society are nearly all contained in the three longest chapters—the second, fourth, and fifth—

great argument, in his exhortations to do right and fear God, is the Day of Judgment; and the believers' reward, which he holds up glittering before their eyes, is the hope of Paradise. "When the heavens part, when the stars are scattered, when the waters of the seas are mingled, when the tombs are overthrown, then shall each soul behold its deeds, from first to last. . . . The just shall dwell in bliss, but the faithless shall be in hell." His imprecations against his foes are frightful, but it must not be forgotten that throughout the Koran it is God who speaks, while the Prophet merely transmits the revelation. The fierce feelings of the desert Arab are frankly unveiled, without a touch of hypocrisy to hide their cruelty. Mahomet's curse upon his uncle, Abû Lahab, is famous. "May the two hands of Abû Lahab perish, and may he perish himself likewise!"

In a second category of the Mecca chapters, the adjurations "by the sun and its brightness, by the moon when it follows close upon it, by the sky and Him who built it," have almost disappeared. The formula "by the Koran!" takes their place. The address opens with the declaration, "This is the revelation of God," and, so that there may be no doubt as to whence the words spoken by the Prophet proceed, he prefixes to them the divine order, in the word "Say!" The history of the ancient Hebrew prophets, obtained from the Jewish Haggada, through his verbal intercourse with Jewish acquaintances, is the chief proof of his mission put forward by Mahomet. Small wonder that the history, coming in so indirect a fashion, should be incorrect and full of legends.

A third period, that of argument, is marked by the more prosaic nature of the language used. The only

Medina. The first belongs to the preaching period, before the emigration. The second came after the Hegira.

At the outset the expression is curt, because the inspiration is powerful, the adjuration is pathetic. God speaks, and the man falls out of sight. Here Mahomet appears as the Prophet. He has not yet become the statesman, the legislator, who calls a new state or society to life. His object is not to give his fellow-countrymen a code of laws, but to teach them to worship the true God. There is no mention of ritual nor any reference to social laws. Mahomet calls on his hearers to believe the evidence of their own apperception of the universe. He bids them admire the marvels of nature, the stars, the moon, the sun, "all of them signs of God's power, if you will understand them"; or else he recounts the misfortunes which have befallen past generations who would not hearken to the prophets—legends which are a mixture of the Rabbinic fables with old national traditions concerning the vanished tribes of 'Âd and Thamûd.

In the oldest of the Meccan *sûras*, the sentences have a rhythmic connection, although there is no regular metre; prosodic forms occur but very seldom, and only in short passages. The expression of thought is very succinct, and generally exceedingly vague and incomplete. But the address is bold and passionate. One feels that the Prophet is straining every nerve to convince the careless that his mission is genuine. His vehemence of expression is apparent even athwart the dull pall cast over it by translation into our analytic tongues. There is as much of the poet as of the preacher in him, as Stanley Lane-Poole accurately remarks. His

that death was sweeping away numbers of those who knew all the Koran, or part of it, by heart, fear fell on them lest the Word of God should be utterly lost, and all the scattered fragments were brought together. Zaid ibn Thâbit, Mahomet's disciple, was charged by Abû Bekr, the first Caliph, to collect all that could be discovered of the sacred text, and form it into one volume. The chapters were then arranged without any regard to historical sequence, simply according to their length. First came the longest, preceded by the *Fâtiḥa*, or short chapter of seven verses which opens the book, and then the shorter ones. Now these short ones are the oldest. They were revealed at Mecca, before the emigration, while the long ones placed at the beginning of the book belong for the most part to the period when the Prophet, then Head of the army and the State, was at Medina, in command of the troops who were soon to place him in possession of the religious capital of Islam. This edition of Zaid's may be considered the final one, for the revision of twenty years later affected details of language and grammar, rather than the general arrangement of the text.

The style of the Koran is not, and hardly could be, uniform. Its expression of thought is purely Semitic, and is closely allied with that long series of documents emanating from Hebraic sources, which begin with the ancient verses of the Tôrâ, pass through all the prophetic inspiration that gravitated round Jerusalem, and so descend to the Gospels. The sentences are cut up into verses, very short verses at first, then very long. The rhymed prose is marked by the alliterations at the close of each verse. The chapters fall into two great classes, according as they were produced at Mecca or

tioned a young man of the tribe of Kalb, named Diḥya ibn Khalifa. The revelation was always imparted in small instalments, only one verse, or a few together, at a time. When the revelation ceased, Mahomet called one of his secretaries, generally 'Abdallah ibn Sa'd ibn Abî Sarḥ, to write the words from his dictation, and had the newly written sheet inserted at such or such a place.

The word *sûra* is Hebrew. It signifies a row of stones in a wall, and thus, by analogy, a line of writing —Koran means reading. *Furqân*, another name given to the book, means (in Semitic languages other than the Arabic) "liberation, deliverance" of the "revelation."

The style of the Koran differs very much according to the periods of the Prophet's life at which the revelation was received. Its principal characteristic is that it is altogether written in rhymed prose. This is strongly apparent in the earlier *sûras*, which have very short verses, and is only marked in the longer chapters inspired at Medina by the terminal *pause* of each verse, which rhymes assonantly with the other pauses. It must further be borne in mind that the present arrangement of the chapters is quite artificial. The manner in which the book was compiled is well known. The Prophet's hearers had begun by trusting their memories to retain the words of the revelations they had received from him. Later, those who could write traced them in ancient characters on palm-leaves, on tanned hides, or on dry bones. When the Prophet died, and his followers perceived that the hour of the Last Judgment seemed to grow farther and farther off (for the first Moslems, like the first Christians, believed that the days were accomplished, and that the great Resurrection was upon them) that civil wars and frontier raids were increasing, and

The Koran was revealed in bits and scraps, and the condition in which we have received it gives us but a faint conception of the manner of its composition. For when it was finally edited, under Caliph 'Uthmân, the chapters or *sûras* were, with the exception of the first, placed in order according to their length—a purely artificial arrangement.

Mahomet, the Koran tells us, was inspired by the Holy Ghost, whom he held to be an angel, and whom he called, in later chapters, written at Medina, by the name of the Archangel Gabriel, which he pronounced Jabri[l]. During the fits of ecstasy in which the inspiration cam[e] to him, he believed he beheld the archangel's face, an[d] when he was asked what he was like, he always men[-]



The Koan

Chaos, from whom came Gaia, the broad-bosomed earth, and Tartarus, dark and dim, below the earth. Then appeared beautiful Eros, or Love. From Chaos also came night and darkness, from these ether and day, whilst the earth gave birth to Uranus, the all-surrounding, starry heaven, and to the mountains and the sea. Then Gaia and Uranus married, and from them sprang demi-gods and men.

When you know more of the ancient peoples who worked out their thoughts about earth, sky and living things in such varied shape, and have learned amidst what different scenery each lived; how Frost and Fire had fierce unending battle, and the Ice-Giant his hearthless home where the hardy Norsemen dwelt; how sunshine and shadow made beautiful the well-wooded land of mountains and streams in the bright south where the Greeks dwelt; you will understand why one legend should impress us by its rugged grandeur and another enchant us with its stately grace.

Elder Edda contains the old mythic poems, and the Younger or Prose Edda such pagan legends as that just quoted, mixed with later ideas. Odin, the Alfadir, is therein thus spoken of:

'Gangleri began his speech: "Who is first or eldest of all gods?" Har said, "He hight Alfadir (is called All-Father) in our tongue, but in the old Asgard (or abode of the gods) he had twelve names."'

. . . 'Odin is named Alfadir because he is the father of all the gods, and also Valfadir (Choosing Father) because he chooses for his sons all who fall in combat, for whose abode he has prepared Valhalla' (Hall of the Chosen).

The old Norsemen spoke of death as *Heimgang:* that is, 'home-going,' a thought always beautiful and tender, but still more so as coming from these wild rovers of the 'homeless sea.'

Greek legend: from the Theogony, or 'Origin of the Gods,' said by some to be one of the works of Hesiod, an ancient poet. The Greek priests and wise men revered it greatly.

In the beginning there was huge and formless

To the south of this yawning gulf there was a region of flame, and to the north an abode ice-cold and dark. Torrents of venom flowed from the north into the gulf and filled it with ice, but the fire came from the south, and, falling upon the ice, melted it. From the melted drops there arose the giant Ymir, who, wicked himself, had a wicked family of frost-giants. A cow was also formed from the melted ice, and she not only fed the giants with her milk, but out of the stones covered with salt and hoar-frost licked a man of strength and beauty, whose son became the father of Odin, Vili and Ve. These three slew Ymir, and out of his flesh they formed the earth; from his blood the seas and waters, from his bones the mountains, from his hair the trees, from his skull the heavens, from his brains the floating clouds, and from his eyebrows a wall round the earth to guard them from the giant sons of Ymir, whose anger they feared.

The old religion of the Scandinavians, who are a branch of the great German family, is contained in two books known as the 'Eddas,' a word thought to mean *Great-Grandmother* or *Ancestress.* The

split the egg in halves, one of which became the heaven and the other the earth.

(The Finns believed that heaven and earth were made out of a divided egg, the upper half being heaven, the yolk being earth, and the white fluid the all-surrounding ocean).

Brahma then drew forth mind and created a number of smaller gods and wise men, who in their turn created animals and demons, clouds, mountains and rivers.

You have doubtless heard of the Hindu notion that the earth rests upon animals standing one upon another, four elephants being placed lowest of all, because their legs *reach all the way down!*

Scandinavian legend:

'Once was the age
When all was not.
Nor sound nor sea
Nor cooling wave.
Nor earth there was
Nor sky above,
Nought save a void
And yawning gulf,
But verdure none.'

years. He formed the firm vault of heaven and the earth on which it rests, and dwelt at the top of a mountain so high that it pierced the upper sky and reached the source of light. He then made sun, moon and stars to aid him in his battle with the terrible power of darkness; the universe being thus created in six periods; man, as in Genesis, last of all. The beautiful trust that dwelt in the heart of the pure-souled founder of the old Persian faith that good would in the end gain the victory over evil, will appear hereafter in the account of that religion.

Hindu legend: from an important book of the Brahman religion, called the Laws of Manu, the first part of which treats of Creation.

The universe was in darkness when Brahma (which means *force*), himself unseen, dispelled the gloom, first producing the waters and causing them to move. From a seed which he had placed in them there came a golden egg blazing with a thousand beams, and in this egg Brahma gave birth to himself. There he dwelt and at last

bulls with human heads, and suchlike monsters. Over all these was a woman, goddess of nature and mother of all beings, whom Belus, the chief of the gods, cut in two, making of one half the earth, and of the other half the sky. This caused the monsters to die, as they could not bear the light, upon seeing which Belus cut off his own head, and the gods then mixed the blood that flowed therefrom with the dust of the earth and formed man, which accounts for his sharing in the divine nature. Belus afterwards made the sun, moon, stars and five planets.

In the ancient religion of the Egyptians there is a legend that the sun wounded himself and that from the stream of his blood he created all beings.

Persian legend: from the sacred book of the Pârsis, known as the Zend-Avesta. The Eternal Being produced two great gods, one named Ormuzd, King of Light, who remained true to him; the other named Ahriman, King of Darkness, who became the author of evil.

To destroy the evil, Ormuzd was appointed to create the world, which was made to last 12.000

ing' witnesses to a Power able to produce and shape all to its own ends; a Power to which men give the name of GOD.

Therefore despise not the old because it is old, neither reject the new because it is new, but value each record of the past for the measure of truth which may be therein, since if it have none of that, it will perish, no matter how many millions believe it, nor with what shouts they strive to stifle the voices of those who believe it not.

Now we will pass on to other legends, beginning with the Babylonian,* the wild and ugly features of which are in strong contrast to the simpleness and quiet dignity of the story in Genesis. This legend, which is no doubt correctly given, comes to us through a Babylonian priest named Berosus, who lived in the time of Alexander the Great. The legend of the creation in the old Phœnician religion closely resembles it.

There was a time in which all was darkness and water. From these came hideous creatures; winged men, men with the legs and horns of goats;

* See Note A.

the shape of the moon, known as her *phases*, which every seven days bring with them, and which account for the very early division of time into weeks.

This sacredness seems to have linked itself the tradition of a creation in seven days and to the frequent use of that number in the Bible these in their turn linking it to many legends of the Middle Ages, while the stories of seven sleepers, seven wise men, seven wonders of the world, and so on, also show what importance was given to it in olden times.

3. It is not wise or well to cast aside the Bible story. We can afford to be just to the past, and our debt to it is greater than we can pay, since its guesses made possible the sure knowledge of our time. However childish the ancient explanations of things may seem to us, they were the best that could be had. They were the work of honest men who, were they living now, would gladly correct their narratives by the great discoveries of these latter days. And those narratives contain for all time this truth, that every effect has a cause, and that this 'mighty sum of things for ever speak-

have tricks played with them, and to give words more than one meaning is to make them mean whatever the fancy invents,

> 'For what the lips have lightly said,
> The heart will lightly hold.'

There can be no doubt that days are meant as such in Genesis, since to each day a 'morning' and an 'evening' is given (see chap. i., ver. 5, 8, 13, 19, 23, 31), and this, together with the fact that the appointment of the seventh day of the week as the Jewish Sabbath was based upon the hallowing of that day by God, proves that 'periods' and suchlike words which convey no idea of fixed lengths of time were not in the writer's mind.

The use of the number seven reminds us that certain numbers were accounted sacred by ancient nations, and that the old mystery about them still survives in foolish and unreasoning fears, and in proverbs as to the luck or ill-luck that attends them. The early worship of the sun, moon and five planets may explain the choice of seven as a sacred number among some eastern and western peoples, and so also may the apparent changes in

If among the different sacred books of the world, for which, as will be seen hereafter, the same claims to be inspired every word are made by those who believe in them, there was one book quite free from mistakes and into which no blunder could by any means enter, we would gladly learn of it, since the truth-seeking can have but one desire, namely, to know what is true. But none such has ever existed, and never will exist, because every book is the work of man and therefore liable to error. That only is perfect which the finger of the Almighty has written on the rock-ribbed earth.

2. Those who hold that there is no real difference between the statements of the Bible and the facts of science, argue that when God is said to have made the heaven and earth in six days, it is not days of twenty-four hours each that are meant, but 'ages' or 'periods' of unknown yet vast duration.

We must all admit that it is very dangerous to force any meaning into words which, by unsettling what the user of them intended to convey, destroys their plain intent. They are far too sacred to

and we are glad to learn what they have to tell us, and, since very few have either time or talent to search for themselves, to rely thereon. But we are none the less ready, as are the writers themselves, to give up all if it is proved to be wrong, and to welcome the newer knowledge which the ages bring.

That we must apply this to the reading of the Bible I have sought to show at page 230. The unknown authors of Genesis, who it is thought compiled that book from older writings, and to whom the legends of other nations were known, as the likeness between the Jewish, Babylonian and Persian testifies, speak of the earth as made before the sun, and as arched over by a solid firmament. It was to them a flat thing that moved not, and since no voice has ever come from the unseen to instruct man in things which God has given him powers to find out, these writers were not wiser than the wisest of the age in which they lived. But the round earth was none the less moving in its course at the rate of nineteen miles in every second of time, else spring and summer, autumn and winter, had not then been.

real contradiction, each has failed to prove this. For this reason others have cast aside the narratives in Genesis as idle and meaningless tales which common sense and science alike bid us reject. From this you will see that *three* different views are held, upon each of which somewhat must be briefly said.

1. There are those who believe that God made all things in six days, that He fixed the sun and moon in the sky on the fourth day after the shedding forth of light and between the creation of plants and animals, because they find it thus written in the Bible.

Now it is not wise to accept anything as true *only* on the ground that we find it in a book, because if it turns out that the writer of the book was mistaken, that his knowledge is imperfect and his statements opposed to facts, the foundation upon which our belief rests is taken away and the belief goes with it. In reading books on history, science and any other subject, we believe that the writers have set down to the best of their knowledge all that can be said upon the matter,

universe in which we live, the age of the earth, and other kindred matters, differs so very much from what lesson-books on these subjects teach, that we feel puzzled which to believe.

The answer which I will try to give to this question before we pass on to the other legends may save you the irksome work of unlearning much in after years which is often taught upon these matters.

Since that which has to be said about one Bible legend applies to all the rest, we will deal with those already given about the Creation.

In bygone years people believed every word of those legends to be true, and there is a large number who still believe this, strangely overlooking the fact that the account given in the first chapter of Genesis of the mode and order in which things were made differs from the account given in the second chapter, and therefore that one of them must be wrong. After a time the Bible story seemed to be contradicted by the witness of those remains of the past which are found deep down in the earth, and although many books have been written with the view of showing that there is no

beasts and creeping things; man and woman, as the last and chiefest, being made 'in the image of God,' Who looked upon all that He had made, saw that it was good, and on the *seventh* day rested from His work.

The *second account*, which is given in Genesis ii. 4 to the end, speaks of the earth as without water and plants and trees, because there was no rain and not a man to till the ground.

Then the earth was watered by a mist, and man was made of the dust of the ground by the Lord God, Who breathed into his nostrils the breath of life so that he 'became a living soul.'

Man was then placed in the garden of Eden with leave to eat of the fruit of every tree except the tree of knowledge of good and evil. Then beasts and birds were made and brought to Adam that he might give them names. Last of all, the Lord God made a woman from a rib taken from Adam's side while he slept.

At this point you may ask, How are we to read these and other Bible stories? What they tell us about the creation, the early state of man, the

beginning God created the heaven and the earth.'

On the *first* day light was created and divided from the darkness, thus causing day and night.

On the *second* day an expanse was formed above the earth, dividing the waters upon the earth from those which were to be stored as rain. (As Genesis vii. 11 shows, this expanse or dome was believed to be full of windows, which were opened whenever it was needful to let the rain through. The notion that the sky is a great roof covering in a flat world is an idea easily framed by the unlearned; the Polynesians, for example, call foreigners 'heaven-bursters,' as having broken in from another world outside.)

On the *third* day the remainder of the waters were gathered together as seas, and the land was made to bring forth grass and herb and tree.

On the *fourth* day God made two great lights, the sun and moon: 'He made the stars also.'

On the *fifth* day He peopled the waters with fishes and the dome above with birds.

On the *sixth* day the work of creation was ended by the earth bringing forth four-footed

fact than they, even a Cause without whom they had never been, a Cause to whom he has given many a different name and paid worship in many a strange fashion.

The spirit in which these early guesses at truth should be read is well enforced in this story, which comes from an ancient book added to one of the Vedas or sacred books of the Hindus.

A father tells his vain-minded son, in whom no sense of wonder dwells, to bring him a fruit of the huge banyan-tree or Indian fig-tree. 'Break it,' said the father; 'what do you see?' 'Some very small seeds,' replied the son. 'Break one of them; what do you see in it?' asked the father. 'Nothing, my father,' answered the son. 'My child,' said the father, 'where you see nothing there dwells a mighty banyan-tree.'

By way of comparing them with the stories which follow, it may be well to set down in simple outline the two accounts of the Creation which are given in the Book of Genesis.

In the *first account*, which is contained in chap. i. 1, to chap. ii. 3, we are told: 'In the

together. And it was a very long time before people would believe that there were millions of mankind who were walking with their feet opposite to ours on another part of the earth.

But as the mind of man searched deeper into things many of them were found to be other than they seemed, and thus all truer knowledge as to what they are has been gained by slow and sure correction of that which the senses first told about them. It would fill a bigger book than this to tell through what paths of darkness and danger the master-spirits of old cut their way to light, amidst what silence and fear they worked, and with what trembling they told their discoveries to a trusted few, but the story is one you will do well to study. And now let us look at a few of the old legends about the beginning of things. They are for the most part but little known, and although the forms in which some of them are cast are crude and foolish, they are worth more than a smile. They were very real to those who framed them, and the wise will gladly find in them this truth: that in the presence of the great fact of earth, sea and sky, man has seen a greater

they appear, and we still talk of the sun rising and setting, although we are sure he does nothing of the kind. If you had not learnt anything from books and other helps about the roundness of the earth and its movements in space, and had been shut up all your life in some wide plain where no hills broke the long, low line around, and gave you a sight, let us say, of the sea hiding in the distance the hulls of ships, you would have believed the earth to be flat and fixed, and lighted by the sun travelling daily across the sky, because your senses led you to such belief. Neither could you have learnt anything of the vastness and distance of the sun and stars, and you might have made the most simple guesses about these matters, as did some of the wise Greeks. One of them said that the moon was as large as that part of Greece once known as the Peloponnesus, but now called the Morea, and was laughed at for his boldness; while another held that the pale belt of light which is named, from a pretty myth, the Milky Way, and which we know consists of millions of stars, of which our sun is one, was the place where the two halves of the sky are joined

CHAPTER II.

LEGENDS OF THE PAST ABOUT THE CREATION.

In every land and age man has looked up to the great, silent heaven, with its unresting sun, moon and stars; and upon this earth, with its robe of many folds and colours, and asked, 'Did these things make themselves? Had they a Maker? If so, how did He make them, and how long ago? What can He be like?' And the questions have had all kinds of answers framed to meet them, and not a few strange stories woven to explain the hard matter.

It is well known to you that among many beliefs, now found to be wrong, which were held in bygone days, people thought that the earth was a flat and fixed thing, for whose sole benefit the sun shone by day and the moon and stars by night. Now, such a belief as this is no matter for wonderment, because it was the only belief then possible. People must speak of things as

Legends of the Past about the Creation

prudent, tried to prevent the translation of these books into the vernacular, for fear that men be enabled to judge what they were told to revere.

It must certainly be concluded from all this that those who perfectly understand this book should tolerate those who do not understand it; for if the latter understand *nothing* of it, that is not their fault; but those who understand nothing of it should also tolerate those who understand it all.

Observe that the author does not say 'I have set my bow in the clouds', he says 'I will set'. This clearly implies that according to general opinion the rainbow had not always existed. It is a phenomenon caused by the rain, and it is represented here as a supernatural sign that the earth will not again be flooded. It is strange to choose the sign of rain to assure us that we shall not be drowned. But one could answer that one is reassured by the rainbow when in danger of inundation.

And the two angels came to Sodom at even.[1]

The whole story of the two angels whom the Sodomites wanted to rape is perhaps the most extraordinary invented by antiquity. But it must be remembered that nearly all Asia believed in demons who were incubi and succubi; and moreover that these two angels were creatures more perfect than men, and must have been more beautiful and have more easily than ordinary men inflamed desire in a corrupt people.

As for Lot, who offered his two daughters to the Sodomites in place of the two angels, and Lot's wife changed into a pillar of salt, and all the rest of the story, what can be said about it? The ancient Arabian fable of Cinyra and Myrrha has some resemblance to the incest of Lot and his daughters; and the adventure of Philemon and Baucis is not unlike that of the two angels, who appeared to Lot and his wife. As for the statue of salt, I do not know what it resembles: is it the story of Orpheus and Eurydice?

There have been a few scholars who considered that all these incredible things, which shock the weak, should be removed from the canonical books. But it is said that these scholars are corrupt in heart, men fit to burn, and that it is impossible to be an upright man if one does not believe that the Sodomites wanted to rape two angels. Thus reason the sort of monsters who want to dominate men's minds.

Some famous fathers of the church had the prudence to convert all these stories into allegories, following the example of the Jews, and above all of Philo. Some sages, still more

1. *Genesis* xix. 1.

I will only remark here that saint Augustine, in his *City o God*, No. 8, says: *Maximum illud diluvium graeca nec Latina novi historia.* Neither Greek nor Latin history know of this grea flood. In fact only those of Deucalion and Oxyges, in Gre ce were ever known. They were regarded as universal in th fables collected by Ovid, but were totally unknown in east Asia. Thus saint Augustine is not mistaken when he says that history does not mention it.

God said to Noah:

> I establish my covenant with you and with your seed after you; and with every living creature.[1]

God made a covenant with the animals! what a covenant! exclaim the unbelievers. But if he enters into an alliance with man, why not with the animals? They have feelings, and there is something as divine in feelings as in the most metaphysical thoughts. Anyway, animals feel better than most men think. It is apparently by virtue of this pact that Francis o Assisi, founder of the seraphic order, said to the grasshopper and the hares: 'Sing, my sister grasshopper; browse, m brother leveret.' But what were the terms of the treaty? Th all the animals would devour one another; that they wou feed on our flesh, and we on theirs; that, after having eat them, we would furiously exterminate each other, and tha would only remain for us to eat our kindred butchered by o own hands. Had there been such a pact it would have bee made with the devil.

The whole passage probably means no more than that god is equally the absolute master of everything that breathes. This pact can only be an order, and the word covenant is used only by extension. We must not be startled by words, but worship the spirit, and hark back to the times in which was written thi book which scandalizes the weak and edifies the strong.

> I will set my bow in the cloud, and it shall be for a token of covenant, . . .[2]

1. *Genesis* ix. 9–10.
2. *Genesis* ix. 13; the Vulgate has 'ponam' and the Revised versior '. do set'.

has nothing to do. Men were seen to be often unhappy, and they built up the notion of a time when everybody had been happy. It is more or less as if one said: 'Once upon time no tree died, no animal was ill or weak or devoured by another.' Hence the notion of a golden age, the egg pierced by Ahriman, the serpent that robbed the ass of the recipe for a happy and immortal life which man had put into its pack saddle. Hence Typhon's fight with Osiris, Ophion's with the gods; and that famous Pandora's box; and all those old stories, some of which are amusing and none of which is instructive.

And he placed in the garden of delight the Cherubim, and the flame of a sword which he turned every way, to keep the way of the tree of life.[1]

The word *kerub* means 'ox'. An ox armed with a flaming sword makes a strange figure at a door. But later, although they were forbidden to make any images, they manifestly took these oxen and these hawks from the Egyptians, whom they imitated in so many ways. The Egyptians first venerated the ox as the symbol of agriculture, and the hawk as that of the winds; but they never made an ox into a doorman.

The gods, Elohim, saw the daughters of men that they were fair; and they took the wives of all that they chose.[2]

This notion was also common to all peoples. There is no nation, except China, in which some god has not come down to engender children on human girls. These corporeal gods often descended to earth to visit their domains; they saw our girls, and took the prettiest ones for themselves. The children born from the intercourse of these gods and the mortal women had to be superior to other men. Nor does *Genesis* fail to say that these gods who lay with our girls produced giants. It again conformed to popular belief.

I will bring a flood of waters upon the earth.[3]

1. *Genesis* iii. 24.
2. *Genesis* vi. 2; for 'the gods, Elohim' the Revised version has 'the sons of God'.
3. *Genesis* vi. 17, with a minor variation. *Note by Voltaire:* See the article 'Inondation'.

in all things: it is then the husband who is subject to the wife. This is true, but it is very possible that there was no subjection and no pain before the first sin.

The lord made them coats of skins.[1]

This passage is proof enough that the Jews believed god to be corporeal, since they have him practise the tailor's craft. A rabbi named Eliezer has written that god covered Adam and Eve with the skin of the very serpent that had tempted them; and Origen alleges that this skin tunic was a new flesh, a new body that god made for man.

And the LORD God said, Behold, Adam is become as one of us.[2]

It would seem that the Jews at first acknowledged several gods. It is more difficult to know what they understood by this word god, *Elohim*. Some commentators have alleged that this term 'one of us' signifies the trinity; but there is certainly no question of the trinity in the *Bible*. The trinity is not a composite of several gods, it is the same triple god; and the Jews never heard anything about a god in three persons. By these words 'like us' it is most probable that the Jews understood the angels, *Elohim*, and that therefore this book was not written until they adopted the belief in these inferior gods.

The LORD God sent him forth from the garden of delight, to till the ground.[3]

But the lord had put him into the garden of delight 'to cultivate that garden'. If Adam the gardener became a labourer, it must be admitted that his condition did not become much worse: a good labourer is certainly as good as a good gardener.

The whole of this story, according to over-bold commentators, is connected with the notion all men had, and still have, that primitive ages were better than recent ones. We always complain of the present and vaunt the past. Men overloaded with work have supposed idleness to be happiness, not reflecting that the worst of conditions is that of a man who

1. *Genesis* iii. 21, condensed. . *Genesis* iii. 22. 3. *Genesis* iii. 23.

served by Pherecydes. Origen quotes it in his book VI against Celsus.[1] A serpent was carried in the feasts of Bacchus. The Egyptians attached a sort of divinity to the serpent, according to Eusebius in his *Evangelical Preparation*, book I, chapter X. In Arabia, in India, even in China, the serpent was regarded as the symbol of life. This is why the emperor of China, before Moses, always bore the image of a serpent on his breast.

Eve was not surprised that the serpent spoke to her. Animals spoke in all the ancient tales, and this is why nobody was surprised when Pilpay and Lokman[2] made the animals speak.

The whole of this adventure is so normal and so devoid of all allegory that it explains why the serpent has since then crawled on his belly, why we always try to crush it, and why it always tries to bite us; precisely as the ancient metamorphoses explain why the crow, who was once white, is today black, why the owl leaves its hole only at night, why the wolf enjoys carnage, etc.

> I will greatly multiply thy sorrow and thy conceptions, in sorrow thou shalt bring forth children; and thy desire shall be to thy husband, and he shall rule over thee.[3]

One wonders why the multiplication of pregnancies was a punishment. On the contrary, it was a very great blessing, above all among the Jews. The pains of childbirth are considerable only for delicate women. Those who are used to work are very early delivered, especially in warm climates. Animals sometimes differ a great deal in giving birth, some even die of it. And as for the superiority of man over woman, this is perfectly natural, it is the effect of the strength of body and even of mind. Men in general have organs more capable of sustained attention than those of women, and are better fitted for the labour of head and hand. But when a woman has a stronger arm and mind than her husband, she rules him.

1. *Contra Celsum*, VI. xxxiii.
2. The fables of Bidpai derive from the Hindu *Panchatantra*, but those of Luqman are in the Arabian tradition.
3. *Genesis* iii. 16.

or at least the principal ones; but this is not the case in any language. In each one there are some imitative words, like *coq* in Celtic, which is rather like the cry of the cock, *loupous*[1] in Latin, etc. But there are very few of these imitative words. Besides, if Adam had thus known all the properties of the animals, either he had already eaten the fruit of knowledge, or god had no need to forbid him this fruit. He already knew more than the Royal Society of London and the Académie des Sciences.

Note that this is the first time Adam is named in *Genesis*. Among the ancient Brahmans, prodigiously older than the Jews, the first man was called Adimo, child of the earth, and his wife Procriti, life. This is said in the *Veidam*,[2] which is perhaps the oldest book in the world. Adam and Eve had the same meanings in the Phoenician language.

> While Adam slept, God took one of his ribs, and closed up the flesh instead thereof: and the rib, which the LORD God had taken from Adam, made he a woman, and brought her unto the man.[3]

In the previous chapter the lord had already created the male and the female. So why take a rib from the man to make a female who already existed? Some answer that the author announces in one place what he explains in the other.

> Now the serpent was more subtil than any beast of the field, . . .; he said unto the woman, etc.[4]

There is no mention of the devil in this entire passage. Everything in it is normal.[5] The serpent was regarded by all the oriental nations not only as the most cunning of animals, but also as immortal. The Chaldeans had a fable about a quarrel between god and the serpent. This fable has been pre-

1. Voltaire spells *lupus*, wolf, thus to indicate the correct pronunciation.

2. That is, the Vedas.

3. *Genesis* ii. 21–2, abridged; in the English versions Adam is still merely 'the man'.

4. *Genesis* iii. 1.

5. Voltaire here and below uses the word 'physique', a word with many overtones.

It is a very good thing to cultivate one's garden, but Adam must have found it difficult to cultivate a garden 700 to 800 leagues long: he was no doubt given some helpers.

Of the tree of the knowledge of good and evil, thou shall not eat of it.[1]

It is difficult to conceive that there has been a tree that taught good and evil, as there are pear trees and apricot trees. Besides, why did not god want man to know good and evil? Would not the contrary have been much more worthy of god, and much more necessary to man? It appears to my poor reason that god should have ordered man to eat a great deal of this fruit; but reason must submit.

For in the day that thou eatest thereof thou shalt surely die.[1]

Nevertheless Adam ate of it, and did not die. Several fathers have regarded all this as an allegory. On the contrary, he is said to have lived another 930 years. In fact, it could be said that the other animals do not know that they are going to die, but that man knows it through his reason. This reason is the tree of knowledge that enables him to foresee his end. Perhaps this explanation is the most reasonable one.

And the LORD God said, It is not good that the man should be alone; I will make him an help meet like him.[2]

One assumes that the lord is going to give him a wife; not at all: the lord brings him all the animals.

And whatsoever Adam called every living creature, that was its true name.[3]

The true name of an animal may be understood to be a name that would designate all the properties of its species,

1. *Genesis* ii. 17.

2. *Genesis* ii. 18, but here there is a variant of some importance: for 'like him' ('*semblable à lui*') the English versions have 'for him'.

3. *Genesis* ii. 19. with unimportant modifications; one of these, however, has some bearing on what Voltaire says a little further on: in the English versions Adam is not named, but is still 'the man'.

It is undeniable that all these peoples had a theology before the Jewish horde inhabited the deserts of Horeb and Sinai, before it could have had writers. It is therefore very highly probable that the story of the six days was imitated from that of the six periods.

From the place of delight[1] flowed a river to water the garden, and from thence it was parted, and became four heads. The name of the first is Pishon: that is it which compasseth the land of Havilah, where there is gold. ... And the name of the second is Gihon: that compasseth Ethiopia. ... The third is the Tigris, and the fourth Euphrates.[2]

According to this version the earthly paradise contained nearly a third of Asia and Africa. The Euphrates and the Tigris have their sources at more than sixty great leagues[3] from one another, in horrible mountains which hardly resemble a garden. The river which borders Ethiopia, and which can only be the Nile or the Niger, rises more than 700 leagues from the sources of the Tigris and the Euphrates; and, if the Pishon is the Phasis, it is rather surprising to place the source of a Scythian river in the same place as that of an African river. It has therefore been necessary to look for another explanation and for other rivers. Each commentator has created his own earthly paradise.

In any case, the garden of Eden was manifestly taken from the garden of Eden at Saana, in Arabia Felix, famous throughout antiquity. The Hebrews, a very recent people, were an Arab horde. They prided themselves on what was finest in the best canton of Arabia. They have always used for their own purposes the ancient traditions of the great nations in whose midst they formed an enclave.

The LORD God took the man, and put him into the garden of delight to dress it.[4]

1. Voltaire here and below uses the word '*volupté*'.
2. *Genesis* ii. 10–14, abridged and slightly modified.
3. Not less than 200 miles.
4. *Genesis* ii. 15.

suns each of which has worlds turning round it. The holy spirit regulated itself to the spirit of the times.

And God said, let us make man in our image, and let him have dominion over the fish, . . .[1]

What did the Jews understand by 'let us make man in our image'? What all antiquity understands:

Finxit in effigiem moderantum cuncta deorum.[2]

Images are made only out of bodies. No nation has conceived of a god without a body, and it is impossible to picture him in any other way. We could of course say: 'God is not anything that we know'; but then[3] one can have no idea what he is. Like all other peoples the Jews always believed god to be corporeal. All the first fathers of the church also believed god to be corporeal, until they embraced Plato's ideas.

Male and female created he them.[4]

If god or the secondary gods created man male and female in their likeness, it would seem in that case that the Jews believed god and the gods to be males and females. Anyway, it is not known whether the author means that man at first had both sexes, or whether he considers that god made Adam and Eve on the same day. The most natural meaning is that god formed Adam and Eve at the same time; but this meaning would absolutely contradict the formation of woman from the rib of man long after the seven days.

And he rested on the seventh day.[5]

The Phoenicians, the Chaldeans, the Indians said that god had made the world in six periods, which the ancient Zoroaster calls the six *gahambārs*, so famous among the Persians.

1. *Genesis* i. 26, slightly abridged.
2. Ovid, *Metamorphoses*, i. 83: 'Moulded in the form of the masterful gods.'
3. I have inserted this word, clearly required by the sense, though lacking in all the editions.
4. *Genesis* i. 27.
5. *Genesis* ii. 2.

forms to this popular error, and by a singular reversal of the order of things does not have the sun and moon created until four days after the light. It is impossible to conceive how there could have been a morning and an evening before there was a sun. There is a confusion here which it is impossible to clear up. The inspired author conformed to the vague and crude prejudices of the nation. God did not purport to teach philosophy to the Jews. He could elevate their spirit to the truth, but he preferred to descend to their level.

The separation of light and darkness is no more scientific. It seems that night and day were mixed together like different kinds of grains that are separated from one another. It is well known that darkness is nothing but the lack of light, and that there is in effect no light unless our eyes receive that impression. But they were then very far from knowing these truths.

The notion of a firmament is also of the highest antiquity. It was imagined that the heavens were very solid, because the same phenomena were always seen there. The heavens turned above our heads: they were therefore of a very hard material. How compute the amount of water the exhalations of the earth and the seas could furnish to the clouds? There was no Halley to make this calculation, so there were water reservoirs in the sky. These reservoirs could be supported only by a good vault. This vault could be seen through; it was therefore crystal. To enable the higher waters to fall to the earth through this vault it was necessary for it to have doors, locks, cataracts that opened and closed. Such was Jewish astronomy; and since one was writing for the Jews it was necessary to adopt their crude ideas, borrowed from other peoples a little less crude than they.

> God made two great lights, one to rule the day, the other the night: he made the stars also.[1]

Still the same ignorance of nature. The Jews did not know that the moon gives only reflected light. The author here speaks of stars as of a bagatelle, although they are so many

1. *Genesis* i. 16, slightly abridged.

God said, Let there be light: and there was light. And God saw the light, that it was good: and God divided the light from the darkness. And God called the light Day, and the darkness he called Night. And there was evening and there was morning, one day. And God said, Let there be a firmament in the midst of the waters, and let it divide the waters from the waters. And God made the firmament, and divided the waters which were under the firmament from the waters which were above the firmament. And God called the firmament Heaven. And there was evening and there was morning, a second day, . . . And he saw that it was good.[1]

Let us begin by considering whether Huet,[2] bishop of Avranches, and Leclerc[3] are not obviously right, rather than those who maintain that this is a stroke of sublime eloquence.

This eloquence is not affected in any history written by the Jews. Here the style is of the greatest simplicity, as in the rest of the work. If an orator, to convey the power of god, used only this expression: 'He said, let there be light, and there was light,' that would be sublime. Such is the passage in a psalm: '*Dixit, et facta sunt.*'[4] This is a flash which, being unique in this context, and placed there to produce a great image, strikes the spirit and carries it away. But here there is the simplest kind of narrative. The Jewish author speaks of light in no other way than he does of the other objects of creation; he says impartially of each clause: 'and God saw that it was good'. No doubt everything in creation is sublime; but the creation of light is no more sublime than that of the grass of the fields: that which rises above the rest is sublime, but the same style reigns throughout this chapter.

It was also a very ancient opinion that light did not come from the sun. It was seen to be diffused in the air before sunrise and after sunset. It was supposed that the sun served only to impel it more strongly. In fact the author of *Genesis* con-

1. *Genesis* i. 3-8, with a couple of insignificant variants.

2. Pierre Daniel Huet, a converted Roman Catholic, though a profoundly learned man, died in 1721 at the age of 91.

3. Jean Leclerc (1657-1736) was a Genevese Arminian, one of the few theologians who was able to see the *Bible* with open eyes.

4. *Psalms* xxxiii. 9: 'He spoke, and it was done.'

philosophers probably knew enough to regard the earth as a point in comparison with the infinite multitude of globes god has placed in the immensity of space called sky. But the idea, so old and so false, that the heavens were made for the earth, has nearly always prevailed among the ignorant. It is more or less as if one said that god created all the mountains and a grain of sand, and supposed that these mountains were made for this grain of sand. It is scarcely possible that the Phoenicians, excellent navigators, had no good astronomers. But the old prejudices prevailed, and these old prejudices had to be respected by the author of *Genesis*, who wrote to teach the ways of god, and not science.

> The earth was tohu-bohu and void; and darkness was upon the face of the deep; and the spirit of God moved upon the face of the waters.[1]

The precise meaning of *tohu-bohu* is chaos, disorder; it is one of those imitative words found in all languages, like *dessus dessous, tintamarre, trictrac.*[2] The earth was not yet formed as it is now: matter existed, but the divine power had not yet organized it. The spirit of god means the breath, the wind, which agitated the waters. This idea is expressed in the fragments of the Phoenician author Sanchuniathon. The Phoenicians, like all other peoples, believed matter to be eternal. Not a single author in antiquity has ever said that something was drawn from nothingness. Not even in the entire *Bible* is a passage to be found saying that matter was made out of nothing.

Men were always divided on the question of the eternity of the world, but never about the eternity of matter.

> *Ex nihilo nihil, in nihilum nil posse reverti.*[3]

Such was the opinion of all antiquity.

1. *Genesis* i. 2.
2. Upside down, noise, backgammon.
3. Adapted from Persius, *Satires* iii. 83-4: 'Nothing can come from nothing or return to nothing.'

Genèse: Genesis

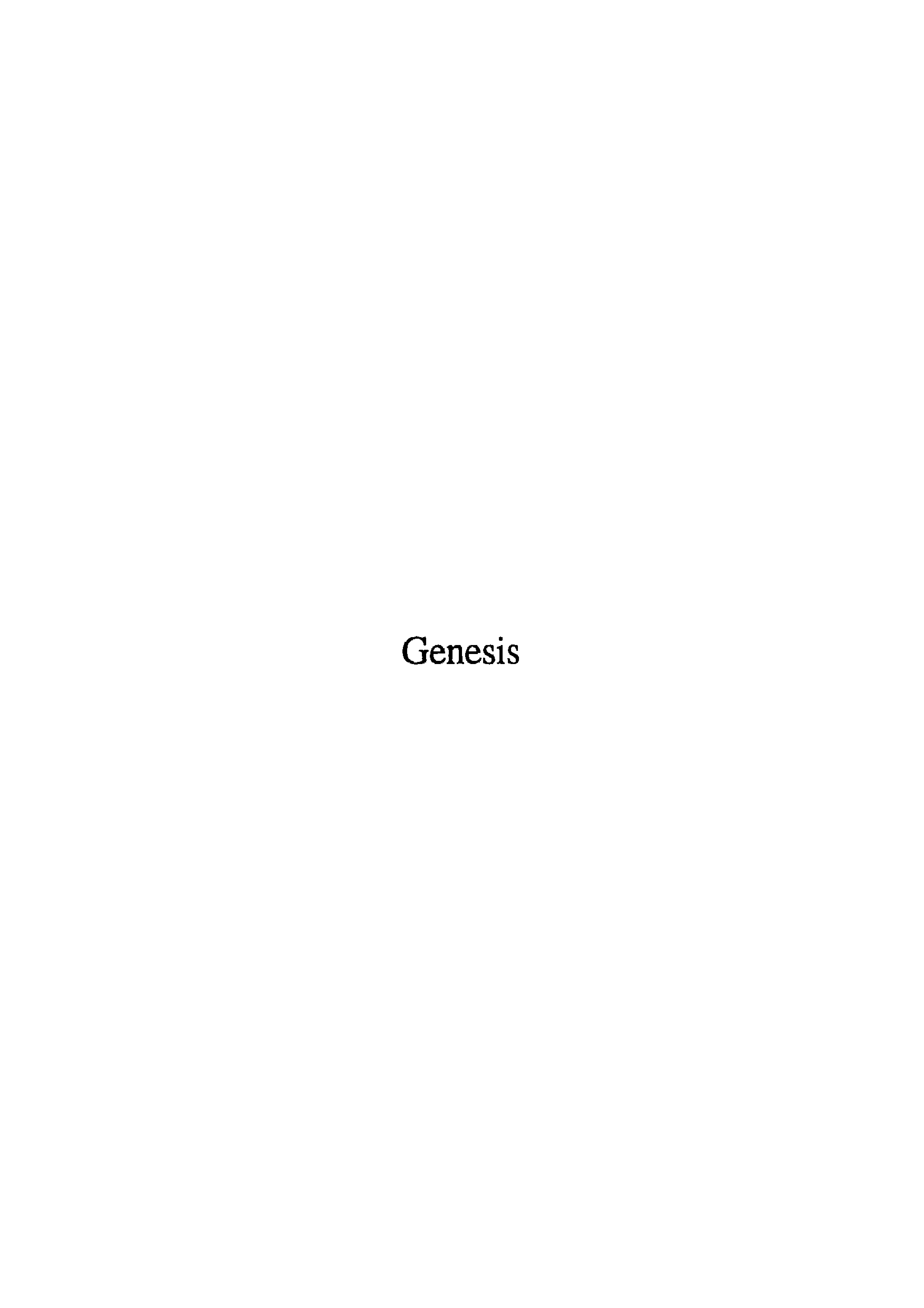
I will not anticipate here what I say about Moses in the article about him. I will trace several of the principal features of *Genesis*, one after the other.

In the beginning god created the heaven and the earth.[1]

So has the line been translated, but the translation is not accurate. No man who has a little reading is unaware that the text runs: 'In the beginning, the gods made *or* the god made the heaven and the earth.' Besides, this reading is in conformity with the ancient idea of the Phoenicians, who had conceived the notion that god employed inferior gods to clear up the chaos, the *shotereb*. The Phoenicians had long been a powerful people, who had their own theogony before the Hebrews seized a few villages near their country. It is quite natural to suppose that the Hebrews began to learn the language when they finally had a small settlement near Phoenicia, especially when they were slaves there. Then those who knew how to write copied something of the ancient theology of their masters. So the human spirit advances.

In the times in which Moses is placed, the Phoenician

1. *Genesis* i. 1.



Genesis

الفهـرس

د. إبراهيم عوض

- ليسانس آداب جامعة القاهرة [illegible]م
- دكتوراه من جامعة أوكسفورد ١٩٨٢م
- عضو هيئة التدريس بآداب عين شمس
- له عدد من المؤلفات النقدية والإسلامية منها :

* معركة الشعر الجاهلي بين الرافعي وطه حسين
* المتنبي - دراسة جديدة لحياته وشخصيته
* لغة المتنبي - دراسة تحليلية
* المتنبي بإزاء القرن الإسماعيلي في تاريخ الإسلام (مترجم عن الفرنسية مع تعليقات ودراسة)
* المستشرقون والقرآن
* ماذا بعد إعلان سلمان رشدي توبته ؟ دراسة فنية وموضوعية للآيات الشيطانية
* الترجمة من الإنجليزية - منهج جديد
* عنترة بن شداد - قضايا إنسانية وفنية
* النابغة الجعدي وشعره
* من ذخائر المكتبة العربية
* السجع في القرآن (مترجم عن الإنجليزية مع تعليقات ودراسة)
* جمال الدين الأفغاني - مراسلات ووثائق لم تنشر من قبل (مترجم عن الفرنسية)
* فصول من النقد القصصي
* سورة طه - دراسة لغوية أسلوبية مقارنة
* أصول الشعر العربي (مترجم عن الإنجليزية مع تعليقات ودراسة)
* افتراءات الكاتبة البنجلاديشية تسليمة نسرين على الإسلام والمسلمين - دراسة نقدية لرواية « العار »
* مصدر القرآن - دراسة لشبهات المستشرقين و المبشرين حول الوحي المحمدي
* نقد القصة في مصر من بداياته حتى ١٩٨٠م
* محمد حسين هيكل أديبا و ناقدا ومفكرا إسلاميا
* سورة النورين التي يزعم فريق من الشيعة أنها من القرآن الكريم - دراسة تحليلية أسلوبية
* ثورة الإسلام - أستاذ جامعي يزعم أن محمدا لم يكن إلا تاجرا (ترجمة و تفنيد)
* مع الجاحظ في رسالة « الرد على النصارى »
* محمد لطفي جمعة - قراءة في فكره الإسلامي
* إبطال القنبلة النووية الملقاة على السيرة النبوية - خطاب مفتوح إلى الدكتور محمود علي مراد في الدفاع عن سيرة ابن إسحاق
* سورة يوسف - دراسة أسلوبية فنية مقارنة
* المرايا المشوهة - دراسة حول الشعر العربي في ضوء الاتجاهات النقدية الجديدة
* القصاص محمود طاهر لاشين - حياته وفنه
* في الشعر الجاهلي - تحليل وتذوق
* في الشعر الإسلامي والأموي - تحليل وتذوق
* في الشعر العربي الحديث - تحليل وتذوق
* موقف القرآن الكريم والكتاب المقدس من العلم
* أدباء سعوديون
* دراسات في المسرح
* دراسات دينية مترجمة عن الإنجليزية
* د. محمد مندور بين أوهام الادعاء العريضة وحقائق الواقع الصلبة
* دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية - أضاليل وأباطيل